فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٤٥ه‍ ١٣ برج الميزان سنة ١٣٠٥ه‍ش ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٦

تفسير القرآن الحكيم

(١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٣) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ؛ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٥) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ؛ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟ (١٨٦) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

بعد الانتهاء من قصة موسى مع قومه التي ختمت بها قصص الرسل من هذه السورة بين الله تعالى لنا في بضع آيات منها شيئا من شؤون البشر العامة في الايمان

والشرك والهدى والضلال ، وما لفساد الفطرة واهمال مواهبها من العقل والحواس من سوء المآل ، وارشدنا في آخرها الى مايصلح فساد الفطرة من دعائه بأسمائه الحسنى ، والى ما للالحاد فيها من سوء الجزاء في العقبى . ثم قفى على هذه البضع الآيات ببضع آيات أخرى في شأن الامة المحمدية بدأها بوصف أمة الاجابة ، وثنى بذكر المكذبين من أمة الدعوة ، وثلث بتفنيد ماعرض لهم من الشبهة ، فالارشاد الى التفكر الموصل الى فقه الامور وما في حقائقها من العبرة ، والى النظر الهادي الى مآخذ البرهان والحجة ، لمعرفة ما في القرآن من الهداية والعلم والحكمة ، فالموعظة الحسنة المؤثرة في النفس المستعدة بالتذكير بقرب الأجل ، والاحتياط للقاء الله عز وجل ، وختمها ببيان عدم الطمع في هداية من قضت سنة الله بضلاله وتركه يعمه في طغيانه . قال تعالى

(وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هذه الجملة معطوفة على جملة (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) الخ وهي تفصيل لاجمال قوله تعالى (من يهد الله فهو المهتدي) الخ بعدما بين حال من أضلهم وهم الذين أهملوا استعمال قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم في فقه آيات الله ، وأنهم كثيرون ، ولكنه ماسماهم امة ، لانهم لاتجمعهم في الضلال جامعة ، ولان الباطل كثير وسبله متفرقة . ثم ذكر هنا حال من هداهم الله تعالى وهو أنهم أمة أي جماعة كبيرة ، مؤلفة من شعوب وقبائل كثيرة ، يهدون بالحق وبه دون غيره يعدلون ، فسبيلهم واحدة لان الحق واحد لايتعدد ، وهؤلاء هم أمة محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم

وقد تقدم تفسير هذا التركيب في قوله تعالى من هذه السورة (٧ : ١٥٨ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فليراجع فهو قريب [1] فهاتان الآيتان متقابلتان لقرب الشبه بين أمة موسى وأمة محمد عليهما الصلاة والسلام كقرب الشبه بينهما وقد تقدم بيانه أيضاً [2] وانما قال (وممن خلقنا) ألخ لمناسبة قوله في مقابله (ولقد ذرأنا) أي خلقنا ، فهنالك يقول ذرأنا لجهنم من صفتهم كذا ، وهنا يقول وممن خلقنا أي للجنة أمة صفتهم كذا وكذا .

(١) راجع ص ٣٦٣ ج ٩ تفسير (٢) راجع ص ٣٧ منه

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ عن ابن جريج في قوله تعالى (وممن خلقنا امة يهدون بالحق) قال ذكر لنا أن النبي (ص) قال « هذه امتي ، بالحق يحكمون ويقضون ، ويأخذون ويعطون » واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فيها قال : بلغنا ان نبي الله (ص) كان يقول اذا قرأها « هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها : (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) » واخرج ابو الشيخ عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال : لتفترقن هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الافرقة : يقول الله (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهذه هي التي تنجو من هذه الامة . اه ومعلوم ان الشق الاول من هذا الاثر مرفوع الى النبي (ص) فذكره علي رضي الله عنه ليفسر به الفرقة الناجية . وقد فسرها النبي (ص) في بعض الروايات بأنها هي التي تستقيم على ما كان عليه (ص) هو وأصحابه ، ومعنى التفسيرين واحد [illegible] (ص)

ثم ذكر حال المكذبين من أمة الدعوة فقال

(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الاستدراج مأخوذ من الدرج مصدر درج أو من الدرجة وهي المرقاة ، يقال درج الكتاب والثوب وأدرجه اذا طواه ويعبر بالدرج وهو المصدر عن المدروج أي المطوي ، ويقال درج فلان بمعنى مات ، وهذه آثار قوم درجوا أي انقرضوا ، جعله الراغب مجازاً بالاستعارة ، ولكن الزمخشري ذكره في حقيقة الاساس وقال واستدرجه : رقاه من درجة إلى درجة ، وقيل استدعى هلكته من درج اذا مات . وقال الراغب في سنستدرجهم من الآية : قيل معناه سنطويهم طي الكتاب عبارة عن إغفالهم نحو (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) وقيل معناه سنأخذهم درجة بعد درجة وذلك إدناؤهم من الشيء شيئاً فشيئاً كالمراقي والمنازل في ارتقائها ونزولها اه

أقول والمراد على هذا أنهم يسترسلون في غيهم وضلالهم ، من حيث لا يدرون شيئاً من عاقبة أمرهم ، لجهلهم سنن الله تعالى في المنازعة بين الحق والباطل ، والمصارعة بين الضار والنافع ، وكون الحق يدمغ الباطل ، وما ينفع الناس يصرع ما يضرهم ، كما

قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وقوله تعالى (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض)

وأما المعنى على القول الاول فهو انذار لهم بهذه العاقبة وهو أن الله تعالى سيأخذهم بالعقاب ولكن بالتدريج وينصر رسوله عليهم وكذلك كان

والجمع بين معنيي الاستدراج جائز هنا لظهوره فيمن نزل فيهم أولا وبالذات وهم كفار قريش الجاحدون والمبالغون في عداوة النبي (ص) فقد كانوا مغترين بكثرتهم وثروتهم لا يعتدون به ولا بغيره ممن آمن به أولا وأكثرهم من الضعفاء الفقراء فما زالوا يتدرجون في عداوتهم له وقتالهم اياه حتى أظهره الله تعالى عليهم في غزوة بدر فلم يعتبروا، ثم زادهم غرورا ظهورهم في آخر معركة أحد وقال قائدهم أبوسفيان : يوم بيوم بدر — الى أن كان الفتح الاعظم فهذا كله استدراج بمعنى التنقل في مدارج الغرور وبمعنى أخذ الله اياهم واظهار رسوله (ص) ومن اتبعه عليهم من حيث لايعلمون سنته تعالى في هذا ولا ذاك

وقد فسر [illegible] خاصا بأخذهم في غزوة بدر وفسر بعض المتقدمين الاستدراج بمعناه العام في اللغة كاغترار العصاة بالنعم التي تنسيهم التوبة وتلهيهم من شكر المنعم . واقتصارهم عليه غفلة عن سبب النزول ومن أنزل فيهم . فهو كقوله تعالى في سورة القلم (٦٨ : ٤٤ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون) وقس عليها بمثل ماهنا — والسورتان مكيتان — وهو قوله تعالى :

﴿ وأملي لهم ان كيدي متين ﴾ الاملاء الامداد في الزمن والامهال والتأخير مشتق من الملوة والملاوة وهي الطائفة الطويلة من الزمن ، والملوان الليل والنهار قال الراغب وحقيقته تكررهما وامتدادهما ، يقال أملى له اذا أمهله طويلا . وأملى البعير اذا أرخى له الزمام ووسع له في القيد ليتسع له المرعى . (واهجرني مليا) أي زمنا طويلا والملا بالقصر المفازة الواسعة الممتدة ، وأما الاملاء للكاتب وهو تلقينه مايكتب فأصله أملل . فهو ليس من هذه المادة

والكيد كالمكر هو التدبير الذي يقصد به غير ظاهره بحيث ينخدع المكيد

له بمظهره فلا يفطن له حتى ينتهي الى مايسوءه من مخبره وغايته ، وأكثره احتيال مذموم ، ومنه المحمود الذي يقصد به المصلحة ككيد يوسف لاخذ أخيه الشقيق من اخوته لأبيه برضاه ومقتضى شريعتهم ، ولذلك أضيف الى الله عز وجل في مثل هذه الآية ، والجمهور على أن اضافة الكيد والمكر أو إسنادهما اليه تعالى في القرآن من باب المشاكلة أو متأول بمعنى العقاب والجزاء ، والمتين القوي الشديد

ومعنى الآية وأمهل هؤلاء المكذبين المستدرجين في العمر وأمد لهم في أسباب المعيشة والقدرة على الحرب بمقتضى سنتي في نظام الاجتماع للبشر كيداً لهم ومكراً بهم ، لاحباً فيهم ونصراً لهم ، (٢٣ : ٥٥ فذرهم في غمرتهم حتى حين ٥٦ أيحسبون أن مانمدهم به من مال وبنين ٥٧ نسارع لهم في الخيرات ? بل لايشعرون) وقال النبي (ص) فيما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي موسى « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » فمعنى هذا الاملاء أن سنة الله تعالى في الامم والافراد قد مضت بأن يكون عقابهم بمقتضى الاسباب التي قام بها نظام الخلق ، فالمعول اذا على نظام [illegible] عقب ظلمه يزداد بغيا وظلما ولايحسب [illegible] الى أن تحيق به عاقبة ذلك بأخذ الحكام له أو بتورطه في مهلكة أخرى ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

وقد نقلنا في أوائل هذا التفسير عن شيخنا الاستاذ الامام أن عذاب الامم في الدنيا مطرد ، وأما عذاب الافراد فقد يتخلف ويرجأ إلى الآخرة ، وحققنا في مواضع أخرى أن عقاب الامم وبعض عقاب الافراد أثر طبيعي لذنوبهم فالامم والشعوب الباغية الظالمة لابد أن يزول سلطانها وتدول دولتها ، والسكير والزاني لا يسلمان من الامراض التي سببها السكر والزنا ، والمقامر قلما يموت الافقيراً معدما الخ

وقد سردنا الشواهد على عقاب الامم من الآيات التي صدقتها شواهد التاريخ الماضي والحاضر وستصدقها في المستقبل ، وما كانت الحرب الاخيرة العظمى الا بعض عقاب الله تعالى للذين صلوا نارها ببغيهم وفسوقهم ، وسيرون ما هو شر منها اذا لم يرجعوا عن غيهم

بعد هذا أرشدهم الى المخرج من اكبر شبهة لهم على الرسالة فقال عز وجل

﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ﴾ الجنة بالكسر النوع الخاص من الجنون فهو اسم هيئة ، واسم للجن أيضاً ولا يصح هنا الا بتقدير مضاف ، أي من مس جنة ــ وقد حكى الله تعالى عن قوم نوح أول رسله الى قوم مشركين انهم اتهموه بالجنون فقالوا بعد قولهم انه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليهم (٢٣: ٢٥ ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وفي سورة القمر عنهم (٥٣: ٩ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) وفي سورة الشعراء حكاية عن فرعون لعنه الله في موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم (٢٦ : ٢٦ قال إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) وقال تعالى عنه في سورة الذاريات (٥١: ٣٩) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون) ثم بين تعالى في هذه السورة أن جميع الكفار كانوا يقولون هذا القول في رسلهم فقال (٥٢) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون (٥٣) أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون)

وفي معنى آية الأعراف في خاتم النبيين والمرسلين عدة آيات (منها) قوله تعالى في كفار مكة من سورة المؤمنين (٢٣: ٦٨) أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ؟ (٧٠) أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ (٧١) أم يقولون به جنة ؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) ومثله في سورة سبأ (٣٤: ٧) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ (٨) أفترى على الله كذباً أم به جنة ؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال فيها (٤٦) قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا : ما بصاحبكم من جنة ، ان هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وهذه شبيهة بآية الاعراف . وفي أول سورة الحجر (١٥ : ٦) وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (٧) لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) وفي سورة الصافات (٣٧ : ٣٥) ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) وفي سورة الطور من الرد عليهم (٥٢ : ٢٧) فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) ومثله (٦٨ : ١) ن والقلم وما يسطرون (٢) ما أنت بنعمة ربك بمجنون) وفي آخرها (٥١) ويقولون انه لمجنون (٥٢) وما هو الا ذكر للعالمين).

وفي سورة التكوير بعد وصف ملك الوحي (٨١: ٢٢ وماصاحبكم بمجنون)
روى أبناء حميد وجرير والمنذر وأبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله (ص) قام على الصفا فدعا قريشاً فخذاً فخذاً : يابني فلان يابني فلان يحذرهم بأس الله ووقائع الله إلى الصباح حتى قال قائلهم : ان صاحبكم هـذا لمجنون : بات يهوّت (أي يصيح) حتى أصبح . فأنزل الله (أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة)

قد علمنا بما سبق أن جميع الكفار كانوا يرمون رسلهم بالجنون لانهم ادعوا أن الله تعالى خصهم برسالته ووحيه على كونهم بشراً كغيرهم لايمتازون على سائر الناس بما يفوق أفق الانسانية كما علم من نشأتهم ومعيشتهم ، ولأنهم ادعوا مالا يعهد له عندهم نظير ، وليس مما تصل اليه عقولهم بالتفكير ، وهو أن الناس يبعثون بعد الموت والبلى خلقاً جديداً ، ولأن كلا منهم كان يدعي أن الناس مخطئون وهو المصيب ، وضالون وهو [illegible] ، وخاسرون وهو [illegible] إلا من اتبعه منهم - ولأنهم نهوا عن عبادة الآلهة وأنكروا [illegible] والتعظيم والنذور وغير ذلك تقرب المتوسلين بها الى الله زلفى وتشفع لهم عنده وادعوا ان الشفاعة لله وحده لايشفع أحد عنده إلا باذنه لمن رضي عنه فلا استقلال لهؤلاء الآلهة بالشفاعة عنده لمن توسل بهم - وادعوا أنه لايدعى مع الله أحد من ملك كريم، ولا [illegible] عظيم ، فضلا عن صورهم وتماثيلهم المذكرة بهم ، وقبورهم المشرفة برفاتهم ، [illegible] المذنب العاصي لايليق به أن يدعو الله تعالى بغير واسطة ولا وسيلة لتدنسه [illegible] ، فيحتاج الى من يقربه اليه من أولئك الطاهرين ، كما أن الملوك العظام [illegible]نيا لايدخل كل أحد عليهم الا بإذن وزرائهم وحجابهم . ومن الغريب أن هذه الشبهة الشركية لاتزال متسلسلة في جميع المشركين من أهل الكتاب والمسلمين، الذين خالفوا نصوص الكتب الالهية وسنة الرسل الى أعمال الوثنيين ولايرون بأساً في تشبيه رب العالمين وأرحم الراحمين بالملوك الظالمين المستبدين ،

وأما معنى الآية فالاستفهام فيه للانكار والتوبيخ وهو داخل على فعل حذف للعلم به من سياق القول كما تقدم في أمثاله والتقدير أكذبوا الرسول ولم

يتفكروا في حاله من أول نشأته وفي حقيقة دعوته ، ودلائل رسالته ، وآيات وحدانية ربه ، وقدرته على اعادة الخلق كما بدأهم وحكمته في ذلك — فان حذف معمول التفكر يؤذن بعموم ما يدل عليه المقام مما يقتضيه الحال كما هي القاعدة المعروفة في علم المعاني

وعلى هذا يكون قوله تعالى (ما بصاحبهم من جنة) جملة مستقلة جديدة . ويجوز أن يكون جملة استفهامية هي معمول التفكر . أي أكذبوا ولم يتفكروا أي جنة هذه التي رموا بها صاحبهم وهو أعقل الناس وأرقاهم خلقاً وأدباً وأشهرهم بالصدق والامانة ؟ أو جملة نافية لما رموه به من الجنون كقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) وقوله (وما صاحبكم بمجنون) ولعلها الأرجح كآية سبأ (ثم تتفكروا : ما بصاحبكم من جنة) ولذلك ختمتا بنفي كل صفة عنه في موضوع رسالته إلا كونه منذراً مبلغاً عن ربه فقال هنا (إن هو الا نذير مبين) الانذار تعليم وارشاد مقترن بالتخويف من مخالفته أي ليس بمجنون : ليس الا منذراً ناصحاً ، ومبلغاً عن الله مبيناً ومنذراً لما يحل بكم من عذاب الدنيا والآخرة اذا لم تستجيبوا له ، وقد دعاكم لما يحييكم في الدنيا بجمع كلمتكم واصلاح أفرادكم ومجتمعكم ، والسيادة على غيركم ، ويحييكم في الآخرة بلقاء ربكم . وقال هنالك (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

وقد عبر عنه في هذه الآيات بالصاحب لهم لتذكيرهم بأنه يعرفونه من أول نشأته إلى أن تجاوز الاربعين من عمره ، فما عليهم إلا أن يتفكروا حق التفكر سيرته الشريفة المعقولة فيعلموا أن الشذوذ ومجافاة المعقول ليس من دأبه عهد عنه ، وكذلك الكذب كما قال بعض زعمائهم من أهل مكة ان محمداً لم قط على أحد من الناس أفيكذب على الله ؟ وقد قال تعالى في أولئك الزعماء لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

وقد بينا في تفسيرنا هذا شبهة المشركين على الرسل بكونهم بشراً مع الرد عليها [1] وكذلك شبهاتهم على البعث مع الرد عليها [2]

(١) راجع ص ٣٠٩ و ٣١٥ من ج ٧ تفسير وص ٢٧٨ و ٤٩٥ ج ٨ منه
(٢) راجع ص ٣٥٧ ج ٧ تفسير وص ٢٨٣ و ٤٧٠ – ٤٨١ ج ٨ منه

ولو تفكر مشركو مكة في نشأة النبي « ص » وأخلاقه وآدابه وما جربوا من أمانته وصدقه من صبوته الى أن اكتهل ، ثم تفكروا فيما قام بدعوتهم اليه من توحيد الله بعبادته وحده ومن كون حكمه في خلقه السموات والارض بالحق تقتضي تنزهه عن العبث (ومنه) أن يكون هذا الانسان السميع البصير العاقل البحاث عن حقائق الاشياء من ماض وحاضر وآت ، ينتهي وجوده بالعدم المحض الذي هو في نفسه محال ، ثم لو تفكروا في سوء حالهم الدينية (كعبادة الأصنام) والأدبية والمدنية والاجتماعية وما دعاهم اليه من اصلاحها كلها - لعلموا أن هذا الاصلاح الديني والادبي والاجتماعي والسياسي لا يثمر إلا السيادة والسعادة ، وانه لا يمكن أن يكون مصدره جنون من دعا اليه ، بل اذا كان فيه شيء غير معقول فهو انه لا يمكن أن يكون هذا العلم العالي والاصلاح الكامل من رأي محمد بن عبدالله الأمي الناشيء بين الأميين — وأن تكون هذه البلاغة المعجزة للبشر في أسلوب القرآن ونظمه من كسب محمد الذي بلغ الأربعين ولم ينظم قصيدة ولا ارتجل خطبة — وأن هذه الحجج الدالة على كل ما يدعو اليه القرآن من العقائد العقلية والعلمية الكونية لا يتأتى أن تأتي خاطرة من ذهن أمي لم يتعلم ولم يعاشر ولم يعامل أحداً فيما مضى من عمره كمحمد بن عبدالله - فاذا تفكروا في هذا كله جزموا بأن هذا كله وحي من الله تعالى ألقاه في روعه ، ونزل من لدنه على روحه ، وعلموا ان استبعادهم لذلك جهل منهم ، فالله تعالى القادر على كل شيء ، يختص برحمته من يشاء . لهذا حثهم على التفكر في هذا المقام من السورة وغيرها وذكر بعدها كونه نذيراً مبيناً ونذيراً بين يدي عذاب شديد

انه دعاهم بعد هذا الى النظر والاستدلال العقلي فقال

﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾ الملكوت الملك العظيم كما تدل عليه صيغة (فعلوت) والمراد بملكوت السموات والارض مجموع العالم لأن الاستدلال به على قدرة الله تعالى وصفاته ووحدانيته أظهر ، فان العالم في جملته لا يمكن أن يكون قديما أزليا ولا نزاع بين علماء الكون في إمكانه ولا في حدوث كل شيء منه وانما يختلفون في

مصدره وبم وجد، وهو لا يمكن أن يكون من عدم محض لأن العدم المحض لا حقيقة له في الخارج بل هو أمر فرضي فلا يعقل أن يصدر عنه وجود — ولا يمكن أن يكون بعضه قد أوجد البعض الآخر وهذا بديهي ولذلك لم يقل به أحد ، فلا بد اذاً من أن يكون صادراً عن وجود آخر غيره وهو الله واجب الوجود . ثم إن هذا النظام العام في الملكوت الاعظم يدل على أن مصدره واحد وتدبيره راجع الى علم عليم واحد وحكمة حكيم واحد ، سبحانه وتعالى (أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون)

ومعنى الآية أ كذبوا الرسول المشهور بالامانة والصدق ، وقالوا : إنه مجنون وهو المعروف عندهم بالروية والعقل ، حتى جعلوا تحكيمه في تنازعهم على رفع الحجر الاسود هو الحكم الفصل - ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال في مجموع ملكوت السموات والأرض على عظمته ، والنظام العام الذي قام بجملته ، وما خلق الله من شيء ، في كل منها [illegible] كل شيء من خلقه له آية تدل على علمه وقدرته [illegible] وحكمته [illegible] وكونه لم يخلق شيئاً عبثاً ، ولا يترك الناس سدى ، [illegible] بوجود الشيء بعد ان لم يكن ، وبترجيح كل وصف من أوصافه على ما يقابله ، وبما فيها من فائدة ومنفعة ، فكيف بالملكوت الاعظم في جملته ، والنظام البديع الذي قام هو به؟ أكذبوا وقالوا ما قالوا ولم ينظروا في العالم الأكبر ، ولا في ذرات العالم الأصغر ، نظر تأمل واعتبار ، وتفكر واستدلال ولا فيما عسى أن يكون عليه الشأن من اقتراب أجلهم ، وقدومهم على [illegible] بسوء عملهم ، فأجل الافراد مهما يطل فهو قصير ، ومهما يبعد أمامهم الحق الواقع قريب ، ولو نظروا في الملكوت أو في شيء مما [illegible] واعتبر تعالى إياه ، لاهتدوا بد لالته الى تصديق الرسول صلوات الله وسلامه عليه [illegible] ولو نظروا في توقع قرب أجلهم لاحتاطوا لأنفسهم ورأوا أن من العقل و[illegible] أن يقبلوا إنذاره (ص) لهم ، لأن خبره لهم في الدنيا ظاهرة لم يكونوا ينكرو[نها] وأما خبرته في الآخرة فهي أعظم اذا صدق ما يقرره من أمر البعث والجزاء وهو صدق وحق ، وإن صح إنكارهم له — وما هو بصحيح — فلا ضرر عليهم من الاحتياط له ، كما قال الشاعر :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تُبعثُ الاموات قلت له إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

فالمجنون اذاً من يترك ما فيه سعادة الدنيا باعترافه وسعادة الآخرة ولو على احتمال لا ضرر في تخلفه ، لا من يدعو الى السعادتين ، أو الى شيئين يجزمون بأن أحدهما نافع قطعاً والآخر إما نافع وإما غير ضار . هذا ما دعاهم اليه صاحبهم بكتاب ربهم مؤيداً بالبراهين العقلية والعلمية ، لعلهم يعقلون ويعلمون ،

﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ وردت هذه الآية بنصها في آخر سورة المرسلات (٧٧) التي أقيمت فيها الدلائل على البعث والجزاء وتهديد المكذبين بالويل والهلاك بعد تقرير كل نوع منها . وورد في الآية الخامسة من سورة الجاثية (٤٥) بعد التذكير بآيات الله للمؤمنين وآياته لقوم يوقنون وآياته لقوم يعقلون قوله : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟) والحديث في الجملة [illegible] هو القرآن ، [illegible] عليه هنا قوله تعالى في رسوله (إن هو إلا نذير مبين) وفي آية المرسلات [illegible] في تهديد المكذبين له . وفي آية الجاثية افتتاح السورة بذكر الكتاب فيكون معناها فبأي حديث بعد كتاب الله المذكور في الآية الاولى ، وآياته المشار اليها بعدها يؤمنون ؟

والمراد ان محمداً رسول الله (ص) نذير مبين عن الله تعالى وانما أنذر الناس بهذا الحديث أي القرآن كما أمره أن يقول (٦ : ١٩ وأوحي اليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) وهو أكمل كتب الله بيانا : وأقواها برهانا ، وأقهرها حجة ، فمن لم يؤمن به فلا مطمع في ايمانه بغيره ، ومن لم يرو ظمأه الماء النقاخ فبأي شيء يرويه ؟ ومن لم يبصر في نور النهار ففي أي نور يبصر ؟ ثم قال تعالى

﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾ هذا استئناف بياني مقرر لحجة هذا السياق ، ومعنى الجملة المراد أن الله تعالى قد جعل هذا القرآن أعظم أسباب الهداية وانما جعله هدى للمتقين ، لا للجاحدين المعاندين ، وجعل الرسول المبلغ له أكمل الرسل وأقوام برهانا في حاله وعقله وأخلاقه وكونه أمياً - فمن فقد الاستعداد للايمان والهدى بهذا الكتاب على ظهور آياته وقوة بيناته ، وبهذا الرسول المتحدي به —

فهو الذي أضله الله ، أي قضت سنته في نظام خلق الانسان ، وارتباط المسببات في أعماله بالأسباب بأن يكون ضالا راسخا في الضلال ، واذا كان ضلاله بمقتضى سنن الله فمن يهديه من بعد الله؟ ولا قدرة لأحد من خلقه على تغيير سننه ولا تبديلها

(ويذرهم في طغيانهم يعمهون) أي وهو تعالى يترك هؤلاء الضالين في طغيانهم كالشيء اللقا الذي لا يبالى به حالة كونهم يعمهون فيه أي يترددون تردد الحيرة والغمة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وفي هذا بيان لسبب ضلالهم من كسبهم ، وهو الطغيان أي تجاوز الحد في الباطل والشر من الكفر والظلم والفجور الذي ينتهي بالعمه وهو التردد في الحيرة ، والارتكاس في الغمة ، وقد روعي في أفراد الضمير أولا لفظ « من يضلل » وفي جمعه آخراً معناها وهو الجمع ، ونظائره كثيرة

وقد علم مما قررناه أن اسناد الاضلال الى الله تعالى ليس معناه انه أجبرهم على الضلال إجباراً ، وأعجزهم بقدرته عن الهدى فكان ضلالهم اضطراراً لا اختياراً ، بل معناه أنهم ما ... في الكفر والضلال ... حتى وصلوا الى حد العمه في الطغيان ، ففقدوا بهذه الاخلاق الخبيثة ... من الهدى والايمان

وقرأ حمزة والكسائي يذرهم بالسكون قيل هو التخفيف وقيل للاعراب بالعطف على جواب الشرط وقرأه بعض القراء بالنون على الالتفات

(تحقيق معنى الفكر والتفكر والنظر العقلي)

من تحقيق المباحث اللفظية في الآيات كلمتا التفكر والنظر العقلي وقد عبر هنا بالتفكر في موضوع استبانة كون النبي (ص) ليس بمجنون كما زعم بعض غواتهم وبالنظر في جملة الملكوت وجزئياته في موضوع الايمان بما جاءهم به الرسول من كتاب الله تعالى ، فنبين ذلك بما تظهر به نكتة الفرق بين التعبيرين ، ويتجلى تفسير الآية

الفكر بالكسر عبارة عن التأمل في المعاني وتدبرها وهو اسم من يفكر فكرا (من باب ضرب) وفكر بالتشديد وتفكر . ومثله الفكرة والفكرى . وفسروه أيضا باعمال الخاطر وإجالته في الأمور ، وقال الراغب : الفكرة مطرقة للعلم الى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل . . . . ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي « تفكروا في آلاء الله ولا

تفكروا في الله » إذ كان منزهاً أن يوصف بصورة . ثم أوردالشواهدمن الآيات ومنها آية الأعراف هذه . ثم نقل عن بعض الأدباء أن الفكر مقلوب عن الفرك لكنه يستعمل في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول الى حقيقتها اه

وقال علماء المنطق الفكر ترتيب أمور معلومة للتوصل الى مجهول تصوري أو تصديقي ، وهو ينافي الحكم على ظواهر الاشياء أو فيها بادي الرأي من غير تمحيص ولا تقدير . واستعمال القرآن للتفكر والتفكير يدل على أنهما في العقليات المحضة أو في العقليات التي مبادئها حسيات ، فالانسان يفكر فيما ينبغي أن يقوله في المواقف التي تميز الاقوال ، وفيما ينبغي أن يفعله حيث تنتقد الافعال ، ويفكر في أقوال الناس وأفعالهم ، ويفكر في الأمور الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية ، ويفكر أيضاً في المبصرات كالمسموعات والمعقولات ، وأكثر ما استعمله التنزيل في آيات الله ودلائل وجوده ووحدانيته وحكمته ورحمته

وأما النظر فقد قال الراغب في تعريفه : هو تقليب البصر أو البصيرة في ادراك الشيء ، ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية ، يقال نظرت فلم تنظر أي لم تتأمل ولم تترو . وقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض) اي تأملوا . واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة . اه وقد اختلف علماء المعقول من المناطقة والمتكلمين في الفكر والنظر هل هما مترادفان أو أحدهما أخص من الآخر ولهم كلام طويل في ذلك أكثره اصطلاحي غير مقيد باستعمال اللغة .

واستعمال القرآن يدل على أن النظر العقلي مبدأ من مبادىء الفكر والتفكر ، مبدأه هو النظر الحسي في الغالب كقوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟) الخ وقوله (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) الخ ومنه النظر في عاقبة الامم برؤية آثارها في عدة آيات والشواهد على ذلك في التنزيل معروفة فلا نطيل في سردها . والآيات التي نحن بصدد تفسيرها جمعت بين المبدإ الحسي وهو ملكوت السموات والارض والمبدإ الفكري وهو اقتراب الاجل ، وهما وما في معناهما يدلان على بناء الدين الاسلامي على قاعدتي النظر العقلي والتفكر اللذين يمتاز بهما الافراد والامم بعضها على بعض والله أعلم وأحكم

فتاوى المنار

(أسئلة من جدة — الحجاز)

(س ١١ — ١٤) من صاحبي الامضاء بجدة

١ – هل كاتب النبي (صلى الله عليه وسلم) كل ملوك الأرض العظماء الموجودين في أيامه أو أكبرهم شكيمة كملك الصين وملك الترك وامبراطور روما الغربية؟ واذا كان لم يكاتب هؤلاء – كما هو المتبادر من التاريخ – فلماذا ؟

٢ — فيما نرى عرفنا أن أشهر الأنبياء كلهم كانوا أسيويين ولم نسمع بنبي أرسل في أوروبا مع أنها من الدنيا القديمة المعمورة فما هي الحكمة ؟

٣ — يقول علماء الدين ولا سيما المعاصرين منهم إن الاسلام هو الدين الصالح لكل الامم وفي كل الارض فما هي تلك الافكار العالية الموافقة لعناصر جميع الامم – التي أتى بها الاسلام ؟

٤ — لماذا فرض الاسلام الجزية على اليهود والنصارى فقط ولم يقبل من العرب سوى الاسلام أو السيف ؟

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا دام نفعه

نؤمل اجابتنا تحريريا على هذه الاسئلة واذا تكرمتم بنشرها في المنار نكن شاكرين تفضلكم ؟ حسن أبو الحايل . محمد حسن عواد

(ج) نجيب عن هذه الاسئلة بالترتيب وان كان قد سبق لثانيها تحقيق من قبل فنقول

(حكمة مكاتبة النبي (ص) لبعض الملوك دون بعض)

كتب النبي (ص) إلى ملوك العرب في جزيرتهم وإلى ملوك البلاد المجاورة لها وهي مصر وسورية والعراق وفارس يدعوهم إلى الاسلام، لأن الدعوة انما تفيد من عقلها وأهل البلاد التي يمكن نشر الاسلام وتنفيذ أحكامه فيها بمجرد دخول أهلها

فيه ، أو لخضوعهم لسلطانه بالصلح وإعطاء الجزية ، ولو تيسر للنبي (ص) في زمنه مكاتبة فغفور الصين وخان الترك وقيصر رومية بإرسال رسل اليهم يحملون كتبه العربية ، وأمكن لهؤلاء الرسل الوصول إلى بلادهم ، وأمكن لهؤلاء الملوك فهم هذه الكتب وإجابة الدعوة، لكان من المتعذر في ذلك الوقت نشر الاسلام وتنفيذ أحكامه في تلك الأقطار النائية ، التي يحول بيننا وبين مهده - جزيرة العرب - شعوب معادية ، فالدعوة العامة ما كان يمكن نشرها إلا بالتدريج والانتقال من محلها إلى الاقرب فالقريب فالبعيد فالأبعد من البلاد والاقطار ؛

ومن المعلوم في التاريخ أن بلاد سورية عربية الأصل وكذلك العراق وإن لم تكن اللغة المضرية عامة فيهما في زمن البعثة، وإن مصر استعمرها العرب زمنا طويلا وكانت مدنيتها الأولى عربية المنشأ ولغتها الهيروغليفية ممزوجة بالعربية مزجا ، وهي لمجاورتها لجزيرة العرب قد سهل تعريب أهلها في زمن غير طويل . كذلك المجاورة بين عرب العراق وعجم ايران كانت مسهلة لنشر الاسلام ولغته العربية ببلاد الفرس في مدة قريبة، وما كان يمكن مثل هذا في الصين لو أمكن إيصال الدعوة اليهم وقبولهم اياها

(بعثة الرسل في جميع الامم وبطلان اعتقاد أنهم كلهم آسيويون)

إن بني إسرائيل لم يكونوا يعرفون غير أنبيائهم فزعموا أن النبوة محصورة فيهم ، وحرفوا آيات التوراة المبشرة برسول يبعثه الله من بني اخوتهم (أي أبناء اسماعيل عليه السلام) ولما بعث الله خاتم النبيين وأتم على لسانه الدين بين لنا في الكتاب المنزل عليه أنه أرسل في جميع الامم رسلا يدعون إلى مثل ما دعا اليه في أصوله وجوهره كما قال (١٦ : ٣٦ وقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)

وقد قص الله تعالى عليه في كتابه قصص أشهر الرسل والنبيين الذين عرفت العرب والمجاورون لهم من أهل الكتاب شيئاً من تاريخهم لاجل العبرة بسيرتهم كما قال (٤٠ : ٧٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولم يقص عليه خبر نبي أرسل في الصين لايعرف أحد من المخاطبين الاولين بالقرآن ولا من مجاوريهم من أهل الكتاب عنه شيئاً لكن

قصصه فتنة لا عبرة ، وتقالوا انه يفتري علينا ما لا سبيل لنا إلى معرفته ، والمثل العامي يقول : اذا أردت أن تكذب فبعد شهودك . والله تعالى يقول في حكمة أخبار الرسل من آخر سورة يوسف بعد ذكر الرسل اجمالا (١٢ : ١١١ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) الآية وقال (١١ : ١١٩ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) فهذه الحكم التي ذكرها الله تعالى لبيان قصص الرسل لا تحق الا بمن يعرف عنهم شيء في الجملة ، ويفصل الوحي مالم يعرف منها

نعم لو أخبرنا الله تعالى في كتابه أن برهما أو بوذا من دعاة التوحيد والفضيلة في الهندو كونفشيوس من دعاتها في الصين وبعض حكماء مصر واليونان من دعاتها في أوربة وافريقية كانوا من رسل الله تعالى (مثلا) وأنه لما طال الامد على اتباعهم أشركوا بالله وفسقوا عن أمره كما قال في أهل الكتاب المعروفين عند العرب (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وقال في وعظ المؤمنين (٥٧ : ١٥ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ـ لو أخبرنا الله تعالى بما ذكر لكن آية لاهل القرون الاخيرة على أخبار القرآن بالغيب ولكن بعد أن يكون فتنة لأهل القرون الأولى ـ ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح

روي عن علي (رض) وكرم وجهه ان المجوس كانوا أهل كتاب كما سيذكر في الجزية من هذه الفتاوى . وثبت في تاريخ غيرهم من الشعوب التي عرف تاريخها فيها حكماء ربانيون دعوا الناس الى توحيد الخالق وعبادته وحده والايمان بالبعث والجزاء ـ والامر بالعمل الصالح ـ وهذه الاصول الثلاث هي التي دعا اليها جميع الرسل وعليها مدار سعادة الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (٢ : ٦١ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فالظاهر أن أولئك

الدعاة إلى الاصول الثلاثة كانوا رسلا يوحى اليهم فان نقل عنهم ماينافي الرسالة فلا يعد حجة نفي صحيحة لأننا قد عرفنا ما حل بكتب المتأخرين عنهم الذين حفظت كتبهم في الجملة فكيف بهؤلاء الذين طمس جل تاريخهم ؟ بل ترى المسلمين الذين كفل الله تعالى حفظ كتابهم في الصدور والسطور فلم يفقد ولم يحرف منه حرف واحد ، وضبطت سنة رسولهم (ص) ضبطا لم يضبط مثله كتاب في تاريخ البشر - نراهم قد سرت الى كثير منهم عقائد الوثنية وعباداتها المخالفة لنصوص القرآن والسنة القطعية ولعمل الصدر الاول المنقول بالتواتر - ونسمع الآن شيعة إيران ودعاة الفتنة في الهند يصيحون ويولولون نادبين هدم هيا كل الوثنية التي بنيت على القبور المعبودة من دون الله تعالى في الحجاز وهي التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بناة أمثالها إذ لعن كل من يبني مسجداً على قبر ومن يضع عليه سراجا الخ

﴿ أصول الاسلام الصالحة المصلحة لكل الامم في كل زمان ﴾

إن الجواب عن هذا السؤال لا يمكن بيانه بالتفصيل إلا في سفر مستقل وموضوع هذه الفتاوى الاختصار فنشير الى مجامع هذه الاصول بالايجاز فنقول

(الاصل الاول) كون الاسلام دين الفطرة فليس فيه شيء غير معقول كالتثليث ولا غير ممكن طبعاً كحب الاعداء . وأساسه تجريد التوحيد الذي يعتق البشر من رق الخرافات والاوهام وقد شرحنا هذا الاصل مراراً كثيرة .

(الاصل الثاني) ختم الرسالة والنبوة المقتضي أن لايوجد بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي معصوم يبلغ الناس شيئا عن وحي الله أو يشرع لهم شيئا من الدين أو يحرم عليهم شيئاً تحريما دينيا . وهذا من أتمام عتق البشر من الادعياء الذين يتحكمون في أفكار الناس وارادتهم يدعون أنهم نواب فيهم عن ربهم . أو أنهم آلهة بالفعل كما يدعي البهائيون في زعيمهم أو أنبياء كما يدعي الاحمدية القاديانيون في مسيحهم الدجال

(الاصل الثالث) أن حكومة الاسلام مقيدة بالنصوص وبالشورى ورئيسها مقيد باختيار أهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة فلا يكون سلطانا لها الا باختيارهم

اياه الخلافة ومبايعتهم له ، وهو مساو لسائر المسلمين في الحقوق فيقتل قصاصا بقتل أضعف السوقة وأفقرهم ولا يطاع في معصية الله تعالى وانما الطاعة في المعروف

(الاصل الرابع) استقلال الفكر في فهم الدين والعلم وجميع شؤون الحياة ، فليس في الاسلام سلطة دينية روحانية تلزم المسلمين اتباع مذهب لمجتهد وآرائه في العقائد والعبادات الدينية والحلال والحرام الدينيين ، وانما هنالك نصوص قطعية وأصول وفروع اجماعية يشترك جميع المسلمين في التزامها ولا يعد أحد متبعاً لأحد غير الرسول وجماعة الامة فيها ، ويقرب من الاجماع ما جرى عليه جمهور سلف الامة الصالح من أمر الدين ولم يشذ عنهم الا أفراد لا يعتد بهم. وما عدا ذلك من المسائل فهو اجتهادي ويجب على كل مسلم أن يعمل باجتهاد نفسه، فان عجز فله أن يأخذ بعلم من يثق بعلمه ودينه

والراجح المختار في العبادات انه لا اجتهاد في التشريع فيها بل في التنفيذ ، والاحكام الدينية منوطة بنصوص الكتاب والسنة والقضائية يعتبر فيهما مراعاة المصالح وعليها مدارها، وهو مذهب مالك امام دار الهجرة

(الاصل الخامس) المساواة بين المسلمين في جميع احكام الشرع وهو أصل مستقل ذكر استطراداً في بعض الاصول قبله

وهذه حرية دينية لا توجد في دين آخر ومقتضاها أن البشر صاروا أحراراً أعزة واخوانا لا يفضل أحد منهم أحداً بتفضيل إلهي محتوم ولا بمنصب موروث كالقديسين في بعض الملل وانما يتفاضلون بكسبهم العلمي والعملي حتى يجوز أن يكون ابن أفقر الناس وأضعفهم أعلم علماء عصره وأتقاهم فيكون أفضلهم

(الاصل السادس) تقييد المسلمين بعقائد وأحكام وآداب وفضائل دينية بالوازع النفسي لا تتغير ولا تنقض وهي تؤمنهم من فوضى الحرية المسرفة التي أوقعت شعوب أوربة في أسر النظام المالي وسلطان أهله من جهة وفي البلشفية من جهة أخرى ، وفي المفاسد الادبية التي هتكت الاعراض وأضاعت الانساب وبددت الاموال من جهة ثالثة الخ الخ

(الاصل السابع) بناء الاحكام السياسية والمدنية على أساس درء المفاسد

وحفظ المصالح — والاحكام القضائية على العدل المطلق والمساواة — ووجوب حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض ولازمه النسب من الاعتداء عليهن

(الاصل الثامن) مساواة النساء للرجال في جميع الحقوق بالمعروف الا الولاية بقسميها العام وهو منصب الامامة العظمى والخاص كرياسة الاسرة ، لقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وبين هذه الدرجة بقوله (الرجال قوامون على النساء)

(الاصل التاسع)بناء ضرورات الاجتماع السابقة كالحرب والرق والضرورات الفردية على قاعدة التوقيت فيها وتقديرها بقدرها وتخفيف شرها والسعي الممكن لازالتها والاستغناء عنها

(الاصل العاشر) فرضه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الفريضة التي تحفظ على الامة فضائلها وآدابها ما أقامتها

(الاصل الحادي عشر) تكافل المسلمين وتضامنهم حكومة وأفراداً فبهذا وبفريضة الزكاة والتوجيب في الصدقات والواجب من الكفارات يكون جماعة المسلمين دائماً في كفاية قلما تنال الضرورة إلا من بعض الافراد المجهولين منهم، وبذلك يقل التحاسد والعدوان بينهم ، ولا نجد الجماعات منهم دافعاً إلى العدوان ولا مشكلاً كبيراً من مشاكل الاجتماع كالبلشفية وما يقرب منها

هذا ما أمكنت الاشارة اليه بالايجاز وسنفصله في أول فرصة تسنح لنا ان شاء الله تعالى ومن يراجع كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) يجد فيه شيئاً من هذا التفصيل

﴿ فرض الجزية على أهل الكتاب وإلزام العرب الاسلام ﴾

التحقيق أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب وإن كانوا عربا وقد أخذها النبي (ص) من أكيدر دومة وكان هو وقومه عربا من غسان وكذا من نصارى نجران في صلحه لهم وتؤخذ أيضاً من المجوس لأن النبي (ص) قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » رواه الشافعي ، وعن علي كرم الله وجهه أنهم كانوا أهل كتاب ففقد

أو رفع رواه عنه عبد الرزاق والشافعي ويمكن الجمع بينه وبين الحديث المرفوع بأن لقب : أهل الكتاب، صار علماً لليهود والنصارى وسببه معروف بيناه من قبل

وأما مشركو العرب فسياسة الاسلام فيهم أن يكونوا مسلمين وأن تبقى جزيرة العرب خالصة لهم ولمن ساكنهم فيها من المسلمين والحكمة في ذلك أن يبقى للاسلام دولة مستقلة في مهده تقيم شرائعه . وقد فصلنا هذا من قبل مراراً . ومع هذا لم يكرههم على الاسلام إكراها وقبل من بعضهم الجزية وقد ظهر ولا يزال يظهر من حكمة سياسته ما نراه من إزالة الاعاجم لملك العرب ثم شرع الاسلام من جميع بلاد الاعاجم إلا بقية قليلة أقواها في بلاد أفغانستان، وهم يتواطؤن ويتعاونون على التعدي على جزيرة العرب وحدها وازالة حكم الاسلام وسيادة العرب منها. فالايرانيون الآن يتعاونون مع بعض الهنود من الشيعة وخرافيي أدعياء السنة على سلب الحجاز نفسه من دولة السنة الحاضرة وإن وقع في أيدي الاجانب ولم نر احداً منهم احتج ولا انكر اعطاء الشريف [illegible] الحجاز للانكليز حتى إن شوكت علي ومحمد علي الزعيمين [illegible] أن تكون حكومة الحجاز جمهورية والحق الأعظم في ادارتها للاعاجم وهذا عاديا لملك الحجاز وإمام السنة العربي ابن السعود لانه لم يقبل هذا

وقد كتب اليّ بعض علماء الهنود الاحرار مرة أن ما كتبته في الخلافة وحق قريش فيها وكون الاسلام عربي اللغة هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال « ولكن هؤلاء الاعاجم من الهنود لايرونه إلا لهذا الجيل من الترك » يعني أنهم ينسخون قاعدة الصديق الأكبر والخليفة الأول رضي الله عنه في قوله إن العرب لاترى هذا الحق إلا لهذا الجيل من قريش

وسيظهر للمسلمين من عصبية الاعاجم من الغرائب مالم يكن يخطر لهم ببال، ونكتفي الآن بهذا الاجمال ، الذي كتبناه بمنتهى الاستعجال ، وما زالوا يؤيدون خلافة الترك الباطلة الصورية على فسادهم التي نبذوها هي والاسلام وراء ظهورهم واستبدلوا بشرعها شرائع الافرنج ومع هذا كله لا يزال الزعيمان شوكت علي ومحمد علي مستمسكين بها ويضعون شارتها على صدرهم ورؤسهم!

﴿ بدعة المحمل وتناصر المسلمين على المستعمرين ﴾

(س ١٥ و ١٦) من ايوب افندي صبري صاحب جريدة الوطنية بمصر

مولاي الجليل

ألتمس من سماحتكم أن تكشفوا النقاب للمسلمين عن النقطتين الآتيتين وهما :

أولا — ما هي علاقة المحمل بالدين الاسلامي حتى ينظر اليه كبدعة تجب مقاومتها والقضاء عليها .

وإذا أثبتم هذه العلاقة وأن المحمل بدعة . فما هي الاسباب التي حملت كبار علماء المسلمين من شيوخ الأزهر الشريف والمفتيين والقضاة الشرعيين على إقرار هذه البدعة منذ وجودها الى الآن ـ وهذا الاقرار ظاهر من اشتراكهم مع الحكومة في الاحتفال بالمحمل عند سفره وعند عودته وتقبيلهم مقوده ـ ثم من عدم تقدمهم للحكومة بحكم الشرع الشريف فيها حتى تقضي على هذه البدعة ومن عدم إصدارهم الفتاوي الدينية وإذاعتها بين المسلمين بكل طرق الاذاعة وأهمها الصحف التي ترحب بتلك الفتاوي وتنشرها بكل سرور

ومن المعلوم أنه ليس للحكومة غرض سياسي أو مالي من هذه البدعة يحول بين العلماء وبين التقدم لها « الحكومة » بحكم الشرع الشريف في أمرها « البدعة » وعلى فرض أن يكون للحكومة غرض فان واجب العلماء أن يبينوا حكم الشرع سواء رضيت عنهم الحكومة أم غضبت وبين العلماء عدد كبير غير مرتبط مع الحكومة بشيء ما

النقطة الثانية — تعلمون سماحتكم أن الثورة السورية ـ والحركة الفلسطينية ضد الصهيونية ـ والثورة الريفية ـ إنما قامت لمقاومة الحرب الصليبية الحديثة التي أرادت أوربة بها استعباد المسلمين والامم الاسلامية تحت أسماء شقاقة وأغراض مزوقة لم تخف عنا بل ان المظالم التي نرزح تحت كلكلها تدل على نية أوربة السيئة ـ وتعلمون أن دول أوروبة ـ رغم ما بينهما من عداوات تتناصر على إذلال المسلمين وامتلاك بلادهم أفلا ترون واجبا على المسلمين أن يتناصروا على دفع بلاء الاستعباد عنهم وعن بلادهم

وإذا كان الريفيون لم يجدوا حولهم أمة مسلمة حرة من الاستعباد الاوربي تناصرهم بجيشها أو بالمال أو بالسلاح - فإن السوريين والفلسطينيين على الحدود النجدية الحجازية . ونجد والحجاز تحت حكم ملك واحد حر من قيود الاستعمار فلماذا لا يناصر جلالته إخوانه المسلمين المجاورين له بجيشه أو بسلاحه أو بماله أو بنفوذه كأن يحتج ويستنكر تلك الجرائم بصفة علنية للدول التي ترتكبها ولجمعية الأمم وللدول الأخرى ? وأية وسيلة ترونها كفيلة بتناصر المسلمين على تحرير أنفسهم وبلادهم من قيود الاستعمار واشتراك الأحرار مع المجاهدين لفكها واشتراك المستعبدين بالتطوع بأنفسهم وأموالهم مع المجاهدين أو بإيقاد نار الثورات في بلادهم إلى أن يهلكوا أو يتحرروا من هذا الاستعباد الجهنمي ?

نلتمس الجواب على هاتين النقطتين على أن تأذنوا بنشره وإذاعته أدامكم الله مناراً للاسلام وأهله ونفع المسلمين وبلادهم بمواهبكم وعلومكم على الدوام

المخلص أيوب صبري

الجواب على بدعة المحمل وإقرار العلماء لها

قد بينا في إحدى مقالاتنا التي نشرها بجريدة الأهرام الوجه الشرعي في عد المحمل المصري المعروف بدعة دينية وانه لم يكن كذلك منذ أحدثته شجرة الدر ملكة مصر بل أصله على ما قال بعضهم انها اتخذت هودجا حجت فيه حين حجت وحملت معها من الاموال للحرمين الشريفين ما حملت ثم صارت ترسل ذلك الهودج في كل سنة مع ركب الحج المصري الذي يحمل الاموال الى الحرمين . وهذا يعد من العادات المباحة التي لا علاقة لها بالدين فيعد المحدث منها بدعة دينية محرمة

ثم حدث من زمن لا نعرف ابتداءه أن هذا الهودج أو الهيكل الخشبي المكسو بالديباج الموشى بالذهب صار يطاف به في الكعبة كما يطوف الناس، وينقل في مشاعر النسك كعرفات ومنى كأنه من الحجاج ، ويوضع في الحرم فيتبرك به الجهال . ثم يدخل المسجد النبوي مع الزائرين ويوضع في حجرة هنالك كما يوضع في المسجد الحرام قبله أياما . ثم صار الناس في مصر نفسها يتبركون به تبركا دينياً

يرجون نفعه حتى في ذراريهم ، وصار يعد من شعائر الاسلام فتحتفل به الحكومة احتفالا دينياً ويقبل ملوكها وامراؤها وكبار علمائها مقود جمله - فبهذه الاشياء صار يعد من البدع الدينية لان كل هذه الامور منكرات شرعية تشبه المشروعة - وما هي بمشروعة - وهذا تحقيق معنى البدعة كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام الذي طبع في مصر من قبل وزارة المعارف

واما إقرار العلماء له فكان مجاراة للحكومة في عملها قبل أن يتحقق فيه معنى البدعة واستمروا على ذلك بعده ، وليس هذا بالمنكر الوحيد الذي أتته الحكومات المستبدة في بلاد الاسلام وسكت عليه العلماء الضعفاء ، بل هنالك بدع ومنكرات كثيرة ومعاص من الكبائر المعلومة من الدين بالضرورة . ومن تلك المنكرات التي صارت تعد بعدم مقاومة العلماء للحكومات من الاسلام أو شعائره بناء المساجد على قبور الصالحين وغيرهم وتشريفها وتجصيصها ووضع الستور واضاءة السرج والشموع عليها واتخاذها أعيادا ومواسم يسمونها الموالد. وكل هذه من الامور المحرمة التي كانت ذريعة [illegible] والفسق [illegible] في صحاح الاحاديث لعن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] في مرض موته [illegible] فاعليها .

على ان كثيراً من كبار العلماء أنكروا أكثر هذه البدع والمعاصي فلم تبال الحكومات بانكارهم ولذلك يعذر بعض العلماء المتأخرين أنفسهم بسكوتهم على منكرات الحكومات بان الانكار لا يفيد على كونهم لا يسلمون من ضرر يصيبهم بسببه، ونحن لا نزال منذ انشأنا المنار ننعى عليهم مخالفتهم لعلماء السلف بهذا السكوت على المنكرات والمعاصي حتى انتدب استاذنا المرحوم الشيخ حسين الجسر للرد علينا في جريدة طرابلس منذ تسع وعشرين سنة واضطررنا الى الرد عليه في المجلد الثاني من المنار

هـذا وان سكوت العلماء مهما يكن من سببه لا يعد حجة شرعية على حكم شرعي باتفاق علماء الاصول والفقهاء . وقد فصل الامام محمد بن اسماعيل الوزير هذه المسألة في رسالته (تطهير الاعتقاد) وذكر بعض المنكرات والمعاصي الفاشية في المساجد المبتدعة على القبور التي منها ما هو شرك بالله تعالى وكذا في مكة أم القرى أيضا ولا ينكرها أحد ، وذكر منها المقامات الاربعة للمذاهب الاربعة التي أحدثها « بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال » (كما قال) في حرم الله تعالى

« فرقت بها عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين » الخ وذكر سكوت علماء الآفاق عليها ثم قال (أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف ، كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين »

ثم ذكر في موضع آخر احتجاج بعضهم على جواز بناء المساجد على القبور بالقبة المبنية على قبر النبي (ص) - مع أنه ولله الحمد لم يتخذ مسجداً - وأجاب عنه بأن هذه القبة ليست من بنائه (ص) ولا بناء أصحابه ولا التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته بل هي من أبنية قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ثم قال « فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول »

وانا بعد كتابة ما ذكر وجمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه قرأت المقال على كتاب في البدع لبعض علماء الازهر المدرسين فيه لقسم التخصص العالي صرح فيه بالانكار على العلماء للسكوت على المنكرات والبدع الفاشية بعد ان عد كثيرا منها كابن الوزير

(الجواب عن مسألة تعاون المسلمين على دول الاستعمار)

لاشك ان هذا التعاون واجب شرعا ولكن تفرق المسلمين وسوء حالهم المانعة من ذلك مقاومة السائل وغيره كما يعلم اتفاق دول الاستعمار وتعاونهم المنظم على سلب بلادنا واستعباد شعوبنا فلو أن ابن السعود أراد مساعدة السوريين بالحرب على كونهم يقولون انهم يحاربون حربا مدنية وطنية لا دينية لمحاربته انكلترة وايطالية مع فرنسة ، وساعدهن على ذلك ملك العراق وأمير شرق الأردن وشاه ايران قطعا وربما شايعهم آخرون من الشعوب الاسلامية ، وقد سمعنا الملك عبد العزيز يقول غير مرة بمكة أمام الناس : ان عداوة الافرنج لنا أمر معقول لا يعقل غيره وإننا والله لانخاف من عداوتهم كما نخاف من عداوتنا نحن المسلمين بعضنا لبعض . فنحن على شدة تألمنا من مقاومة الاستعمار قولا وعملا لا نشير عليه بما ذكر السائل لأننا نعلم علما قطعيا أنه يقضي بذلك على دولته في أول نشأتها وهو الى الآن لم يسلم من شر المسلمين أنفسهم

وأما ما دون ذلك من مساعدة فلا يصح للسائل ولا لغيره ان يجزم بنفيها ولا أن يسأل عنها ، كما انه لا يصح له أن يجهل ما يجب أن يعمله المسلمون للدفاع عن أنفسهم من المباحث التي تنشر في الجرائد . وليس من المصلحة أن نقول أكثر من هذا في هذه المسألة الكبرى

الايمان والكفر والنفاق والظلم والفسق

من رسائل إمام نجد في عصره العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن
ابن حسن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله تعالى

(ويعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها
أكثر من سائر علماء المذاهب الاخرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن الى عبد العزيز الخطيب ،
سلام على عباد الله الصالحين . وبعد فقرأت رسالتك وعرفت مضمونها وما قصدته من الاعتذار ، ولكن أسأت في قولك ان ما أنكره شيخنا الوالد من تكفيركم أهل الحق واعتقاد إصابتكم انه لم يصدر منكم ، وتذكر ان اخوانك من أهل النعيم عادوك وينازعونك في شأننا ، وانهم ينسبوننا الى السكوت عن بعض الامور ، وانت تعرف انهم يذكرون هذا غالبا على سبيل القدح في العقيدة ، والطعن في الطريقة ، وان لم يصرحوا بالتكفير فقد حاموا حول الحمى ، فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، ومن الغي عن سبيل الرشد والعمى ، وقد رأيت سنة أربع وستين رجلين من أشباهكم المارقين بالاحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة ، وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين ، وحجتهم من جنس حجتكم ، يقولون: أهل الاحساء يجالسون ابن فيروز ، ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت ، ولم يصرح بتكفير جده الذي رد دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها . قالا : ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر

بالطاغوت [١] ومن جالسه فهو مثله . ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين مايترتب على الردة الصريحة من الاحكام ، حتى تركوا رد السلام . فرفع الي أمرهم ، فأحضرتهم وهددتهم ، وأغلظت لهم القول . فزعموا أولا انهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأن رسائله عندهم ، فكشفت شبهتهم وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس ، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب ، فانه لا يكفر الا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الاكبر ، والكفر بآيات الله ورسله أو بشيء منها ، بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر ، كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم اندادا له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والالهية . وهذا مجمع عليه عند أهل العلم والايمان ، وكل طائفة من أهل المذاهب المقلدة يفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك الاكبر ، وقد أفرد ابن حجر [٢] هذه المسئلة بكتاب سماه (الاعلام بقواطع الاسلام)

وقد اظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم وزعما ان الحق ظهر لهما ثم لحقا بالساحل وعادا الى تلك المقالة ، وبلغنا عنهم تكفير ائمة المسلمين ، بمكاتبة الملوك المصريين ، بل كفروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين ، ونعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، والحور بعد الكور [٣]

وقد بلغنا عنكم نحو من هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب ،

«١» قوله : لم يكفر بالطاغوت إما تعليل لكفره بالله على طريقة الاستئناف البياني فالكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان بالله و إما خبر بعد خبر .

«٢» هو العلامة أحمد بن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي «٣» الحور بعد الكور معناه النقصان بعد الزيادة كالعصيان بعد الطاعة والجهل بعد الحلم

كالكلام في الموالاة والمعاداة ، والمصالحة والمكاتبات ، وبذل الاموال والهدايا ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات ، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم من الجفاة؛ لايتكلم فيها الا العلماء من ذوي الالباب ، ومن رزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ، والكلام في هذا يتوقف على معرفة ماقدمناه ومعرفة أصول عامة كلية لايجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها ، وأعرض عنها وعن تفاصيلها ، فان الاجمال والاطلاق ، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله ، يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله مايفسد الاديان ، ويشتت الاذهان ، ويحول بينها وبين فهم القرآن ، قال ابن القيم في كافيته رحمه الله تعالى

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـ إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ أذهان والآراء كل زمان

وأما التكفير بهذه الامور التي ظننتموها من مكفرات اهل الاسلام فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن ابي طالب امير المؤمنين ومن معه من الصحابة ، فانهم انكروا عليهم تحكيم ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص في الفتنة التي وقعت بينه وبين معاوية واهل الشام، فأنكرت الخوارج عليه ذلك وهم في الاصل من اصحابه من قراء الكوفة والبصرة وقالوا حكمت الرجال في دين الله ، وواليت معاوية وعمراً وتوليتهما وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله) وضربت المدة بينكم وبينهم وقد قطع الله هذه الموادعة والمهادنة منذ أنزلت براءة . وطال بينهما النزاع والخصام ، حتى أغاروا على سرح المسلمين وقتلوا من ظفروا به

من أصحاب علي ، فحينئذ شمر رضي الله عنه لقتالهم ، وقتلهم دون النهروان بعد الاعذار والانذار ، والتمس المخدج المنعوت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره من أهل السنن فوجده على قسر بذلك وسجد لله شكراً على توفيقه ، وقال لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل ، هذا وهم أكثر الناس عبادة وصلاة وصوما

فصل

ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة ، وقد يراد بها مطلق الحقيقة ، والاول هو الاصل عند الاصوليين والثاني لا يحمل الكلام عليه الا بقرينة لفظية أو معنوية ، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية وقال (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وكذلك اسم المؤمن والبر والتقي يراد بها عند الاطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الامر والنهي ، ألا ترى أن الزاني والسارق والشارب يدخلون في عموم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) الآية وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) ولا يدخلون في مثل قوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) الآية

وهذا هو الذي أوجب للسلف ترك تسمية الفاسق باسم الايمان والبر وفي الحديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه أبصارهم فيها وهو مؤمن » وقوله « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »[1] لكن نفي الايمان هذا لا يدل على كفره ، بل يطلق عليه اسم الاسلام ولا يكون كمن كفر بالله ورسوله . وهذا هو الذي فهمه السلف وقرروه في باب الرد على الخوارج والمرجئة ونحوهم من أهل الاهواء فافهم هذا فانه مضلة افهام ، ومزلة اقدام

وأما إلحاق الوعيد المرتب على بعض الذنوب والكبائر فقد يمنع منه مانع في حق المعين كحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ورجحان الحسنات ومغفرة الله ورحمته وشفاعة المؤمنين والمصائب المكفرة في الدور الثلاثة . وكذلك لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار ، وان أطلقوا الوعيد كما أطلقه القرآن والسنة فهم يفرقون بين العام المطلق ، والخاص المقيد ، وكان عبد الله (حمار)[2] يشرب الخمر فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله »[3] مع انه لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها

---

(١) الحديث الاول رواه الشيخان وغيرهما والثاني رواه البخاري بلفظ « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن – قيل من يا رسول الله؟ قال – الذي لا يأمن جاره بوائقه » ورواه أحمد أيضا ولا أذكر لفظه (٢) صحابي معروف وحمار لقب له

(٣) الحديث من أفراد البخاري ولفظه عند جمهور رواته « لا تلعنوه فوالله ما علمت انه يحب الله ورسوله » أي ان الذي علمته انه يحب الله ورسوله وفي اعراب الجملة أقوال وفي رواية « ما علمت إلا انه يحب » الخ وما ذكره المصنف رواية الواقدي

ومقصرها وحاملها والمحمولة اليه :[١]

وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة ومافيها من الفوائد فانه هاجر الى الله ورسوله وجاهد في سبيله لكن حدث منه انه كتب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من أهل مكة يخبرهم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيره لجهادهم ليتخذ بذلك يدا عندهم يحمي بها أهله وماله بمكة فنزل الوحي بخبره وكان قد أعطى الكتاب ظعينة جعلته في شعرها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير في طلب الظعينة وأخبر انهما يجدانها في روضة خاخ فكان ذلك، فتهدداها حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا حاطب ابن أبي بلتعة فقال له «ماهذا» فقال يارسول الله اني لم أكفر بعد إيمان، ولم أفعل هذا رغبة عن الاسلام وانما اردت ان تكون لي عند القوم يد أحمي بها أهلي ومالي، فقال صلى الله عليه وسلم «صدقكم خلوا سبيله» واستأذن عمر في قتله فقال دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة فقال (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآيات فدخل حاطب في المخاطبة باسم الايمان ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه وله خصوص السبب الدال على ارادته مع ان في الآية الكريمة مايشعر أن فعل حاطب نوع موالاة وانه أبلغ اليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل . لكن قوله «صدقكم خلوا سبيله» ظاهر في انه لايكفر بذلك اذا كان مؤمنا بالله ورسوله غير

(١) رواه أبو داود وكذا الترمذي وابن ماجه بزيادة فيه

شاك ولا مرتاب وانما فعل ذلك لغرض دنيوي ، ولو كفر لما قيل دخلوا سبيله » لا يقال قوله صلى الله عليه وسلم لعمر « وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » هو المانع من تكفيره لانا نقول لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنعه من لحاق الكفر وأحكامه ، فان الكفر يهدم ما قبله لقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) وقوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) والكفر محبط للحسنات والايمان بالاجماع فلا يظن هذا

واما قوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) فقد فسرته السنة وقيدته وخصته بالموالاة المطلقة العامة . واصل الموالاة هو الحب والنصرة والصداقة ، ودون ذلك مراتب متعددة ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذم ، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وغيره ، وانما اشكل الامر وخفيت المعاني والتبست الاحكام على خلوف من العجم والمولدين الذين لا دراية لهم بهذا الشان ، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن ، ولهذا قال الحسن رضي الله عنه : من العجمة أتوا . وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد لما ناظره في مسئلة خلود أهل الكبائر في النار واحتج ابن عبيد ان هذا وعد والله لا يخلف وعده ـ يشير الى ما في القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب بالنار والخلود ـ فقال له ابن العلاء : من العجمة أتيت ، هذا وعيد لا وعد ، وانشد قول الشاعر

واني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقال بعض الائمة فيما نقل البخاري أو غيره إن من سعادة الاعجمي والاعرابي اذا أسلما أن يوفقا لصاحب سنة ، وإن من شقاوتهما أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة

ونضرب لك مثلا هو أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله أحدهما خارجي والآخر مرجيء ، قال الخارجي : ان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) دليل على حبوط أعمال العصاة والفجار وبطلانها إذ لا قائل انهم من عباد الله المتقين ، قال المرجيء : هي في الشرك فكل من اتقى الشرك يقبل عمله لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال الخارجي : قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) رد لما ذهبت اليه . قال المرجيء : المعصية هنا الشرك بالله واتخاذ الانداد معه لقوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال الخارجي (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) دليل على أن الفساق من أهل النار الخالدين فيها ، قال له المرجيء في آخر الآية (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) دليل على أن المراد من كذب الله ورسوله والفاسق من أهل القبلة مؤمن كامل الايمان

ومن وقف على هذه المناظرة من جهال الطلبة والاعاجم ظن أنها الغاية المقصودة وعض عليها بالنواجذ ، مع أن كلا القولين لا يرتضى ، ولا يحكم باصابته أهل العلم والهدى ، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كله لان الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نزل اليهم وأما أهل البدع والاهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم (للكلام بقية)

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة

لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

حكم الموالاة بين صلاتي الجمع

والصحيح انه لا تشترط الموالاة بحال لا في وقت الاولى ولا في وقت الثانية فانه ليس لذلك حد في الشرع ، ولان مراعاة ذلك يسقط مقصود الرخصة وهو شبيه بقول من حمل الجمع على الجمع بالفعل وهو أن يسلم من الاولى في آخر وقتها ويحرم بالثانية في أول وقتها كما تأول جمعه على ذلك طائفة من العلماء أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ، ومراعاة هذا من أصعب الاشياء وأشقها فانه يريد أن يبتديء فيها اذا بقي من الوقت مقدار أربع ركعات أو ثلاث في المغرب ، ويريد مع ذلك أن لا يطيلها ، وان كان بنية الاطالة تشرع في الوقت الذي يحتمل ذلك ، واذا دخل في الصلاة ثم بدا له أن يطيلها أو أن ينتظر أحداً ليحصل الركوع والجماعة لم يشرع ذلك ويجتهد في أن يسلم قبل خروج الوقت ، ومعلوم ان مراعاة هذا من أصعب الاشياء علما وعملا وهو يشغل قلب المصلي عن مقصود الصلاة والجمع شرع رخصة ودفعاً للحرج عن الامة ، فكيف لا يشرع الا مع حرج شديد ومع ما ينقض مقصود الصلاة ؟

فعلم انه كان صلى الله عليه وسلم اذا أخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء يفعل ذلك على الوجه الذي يحصل به التيسير ورفع الحرج له ولأمته ولا يلتزم انه لا يسلم من الاولى الا قبل خروج وقتها الخاص وكيف يعلم ذلك المصلي في الصلاة وآخر وقت الظهر وأول وقت العصر انما يعرف على سبيل التحديد بالظل والمصلي في الصلاة لا يمكنه معرفة الظل ولم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم آلات حسابية يعرف بها الوقت ، ولا موقت يعرف ذلك بالآلات الحسابية ، والمغرب انما يعرف آخر وقتها بمغيب الشفق ، فيحتاج ان ينظر الى جهة الغرب هل غرب الشفق الاحمر أو الابيض ، والمصلي في الصلاة منهي عن مثل ذلك

واذا كان يصلي في بيت أو فسطاط [illegible] أو غير ذلك مما يستره عن الغرب ويتعذر عليه في الصلاة النظر الى المغرب فلا يمكنه في هذه الحال أن يتحرى السلام في آخر وقت المغرب بل لابد أن يسلم قبل خروج الوقت بزمن يعلم انه معه يسلم قبل خروج الوقت

ثم الثانية لا يمكنه على قولهم أن يشرع فيها حتى يعلم دخول الوقت وذلك يحتاج الى عمل وكلفة مما لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يراعيه بل ولا أصحابه ، فهؤلاء لا يمكن الجمع على قولهم في غالب الاوقات لغالب الناس الا مع تفريق الفعل ، وأولئك لا يكون الجمع عندهم الا مع اقتران الفعل ، وهؤلاء فهموا من الجمع اقتران الفعلين في وقت واحد أو وقتين ، وأولئك قالوا لا يكون الجمع الا في وقتين ، وذلك يحتاج الى تفريق الفعل وكلا القولين ضعيف

والسنة جاءت بأوسع من هذا وهذا ولم تكلف الناس لا هذا ولا هذا ، والجمع جائز فى الوقت المشترك فتارة يجمع في أول الوقت كما جمع بعرفة وتارة يجمع في وقت الثانية كما جمع بمزدلفة وفي بعض أسفاره وتارة يجمع فيما بينهما في وسط الوقتين وقد يقعان معاً في آخر وقت الاولى وقد يقعان معاً في اول وقت الثانية ، وقد تقع هذه في هذا وهذه في هذا وكل هذا جائز لان اصل هذه المسألة ان الوقت عند الحاجة مشترك والتقديم والتوسط بحسب الحاجة والمصلحة ففي عرفة ونحوها يكون التقديم هو السنة

وكذلك جمع المطر ، السنة ان يجمع المطر فى وقت المغرب حتى اختلف مذهب احمد هل يجوز أن يجمع المطر في وقت الثانية؟ على وجهين وقيل إن ظاهر كلامه أنه لا يجمع إلا في وقت الثانية وأن الافضل التأخير وهو غلط مخالف للمنقول والاجماع القديم وصاحب هذا القول ظن أن التأخير في الجمع أفضل مطلقا لأن الصلاة يجوز فعلها بعد الوقت عند النوم والنسيان ، ولا يجوز فعلها قبل الوقت بحال ، بل لو صلاها قبل الزوال وقبل الفجر أعادها ، وهذا غلط فان الجمع بمزدلفة انما المشروع فيه تأخير المغرب إلى وقت العشاء بالسنة المتواترة واتفاق المسلمين وماعلمت أحداً من العلماء سوغ له هناك أن يصلي المغرب في طريقه ، وانما اختلفوا في المغرب هل له أن يصليها في طريقه على قولين . وأما التأخير فهو كالتقديم ، بل صاحبه أحق بالذم ، ومن نام عن صلاة أو نسيها فان وقتها في حقه حين يستيقظ ويذكرها ، وحينئذ هو مأمور بها لا وقت لها الا ذلك فلم يصلها الا في وقتها

وأما من صلى قبل الزوال وطلوع الفجر الذي يحصل به ، فان كان متعمداً فهذا فعل مالم يؤمر به ، وأما ان كان عاجزاً عن معرفة الوقت

كالمحبوس الذي لا يمكنه معرفة الوقت فهذا في اجزائه قولان للعلماء وكذلك في صيامه اذا صام حيث لا يمكنه معرفة شهور رمضان كالاسير اذا صام بالتحري ثم تبين له أنه قبل الوقت ففي اجزائه قولان للعلماء، وأما من صلى في المصر قبل الوقت غلطا فهذا لم يفعل ما أمر به وهل تنعقد صلاته نفلا أو تقع باطلة ؟ على وجهين في مذهب احمد وغيره

والمقصود أن الله لم يبح لاحد أن يؤخر الصلاة عن وقتها بحال كما لم يبح له أن يفعلها قبل وقتها بحال فليس جمع التأخير بأولى من جمع التقديم، بل ذلك بحسب الحاجة والمصلحة فقد يكون هذا أفضل وقد يكون هذا أفضل، وهذا مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر مذهب احمد المنصوص عنه وغيره . ومن أطلق من أصحابه القول بتفضيل أحدهما مطلقا فقد أخطأ على مذهبه

الاحاديث في الجمع تقديما وتأخيرا

وأحاديث الجمع الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مأثورة من حديث ابن عمر وابن عباس وانس ومعاذ وابي هريرة وجابر، وقد تأول هذه الاحاديث من انكر الجمع على تأخير الاولى إلى آخر وقتها وتقديم الثانية إلى أول وقتها، وقد جاءت الروايات الصحيحة بأن الجمع كان يكون في وقت الثانية وفي وقت الاولى وجاء الجمع مطلقا، والمفسر يبين المطلق ففي الصحيحين من حديث سفيان عن الزهري عن سالم عن ابيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء .
وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عجل به السير جمع بين المغرب والعشاء . رواه مسلم، وروى مسلم

من حديث يحيى بن سعيد حدثنا عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر انه كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء

حديث ابن عمر في جمع التأخير

قال الطحاوي : حديث ابن عمر انما فيه الجمع بعد غيب الشفق من فعله وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جمع بين الصلاتين ولم يذكر كيف كان جمعه ، هذا انما فيه التأخير من فعل ابن عمر لا فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر المثبتون مارواه محمد بن يحيى الذهلي حدثنا حماد بن مسعدة عن عبيدالله بن عمر عن نافع أن عبدالله بن عمر أسرع السير فجمع بين المغرب والعشاء فسألت نافعا فقال : بعد ماغاب الشفق بساعة وقال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اذا جدّ به السير ، ورواه سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع أن ابن عمر استصرخ على صفية بنت ابي عبيد وهو بمكة وهي بالمدينة فأقبل فسار حتى غربت الشمس وبدت النجوم فقال رجل كان يصحبه : الصلاةَ الصلاةَ ، فسار ابن عمر ، فقال له سالم : الصلاة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عجل به أمر في سفر جمع بين هاتين الصلاتين. فسار حتى اذا غاب الشفق جمع بينهما وسار مابين مكة والمدينة ثلاثا

وروى البيهقي هذين باسناد صحيح مشهور ، قال ورواه معمر عن أيوب وموسى بن عقبة عن نافع ، وقال في الحديث فأخر المغرب بعد ذهاب الشفق حتى ذهب هويٌ من الليل ثم نزل فصلى المغرب والعشاء قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اذا جدّ به السير أو

جزبه أمر (قال) ورواه يزيد بن هارون عن يحيي بن سعيد الانصاري عن نافع فذكر انه سار قريبا من ربع الليل ثم نزل فصلى، ورواه من طريق الدارقطني حدثنا ابن صاعد والنيسابوري حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد أخبرني عمر بن محمد بن زيد حدثني نافع مولى عبداللّه بن عمر عن ابن عمر انه أقبل من مكة وجاءه خبر صفية بنت ابي عبيد فأسرع السير فلما غابت الشمس قال له انسان من أصحابه الصلاة ، فسكت ثم سار ساعة فقال له صاحبه : الصلاة ، فقال الذي قال له « الصلاة » انه ليعلم من هذا علما لا أعلمه فسار حتى اذا كان بعد ماغاب الشفق بساعة نزل فأقام الصلاة وكان لاينادي لشيء من الصلاة في السفر فأقام فصلى المغرب والعشاء جميعا جمع بينهما ثم قال : ان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان اذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق بساعة وكان يصلي على ظهر راحلته أين توجهت به السبحة[1] في السفر ويخبر أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يصنع ذلك

قال البيهقي : اتفقت رواية يحيي ابن سعيد الانصاري وموسى ابن عقبة وعبيداللّه بن عمر وأيوب السختياني وعمر بن محمد بن زيد على أن جمع عبداللّه بن عمر بين الصلاتين بعد غيبوبة الشفق وخالفهم من لايدانيهم في حفظ أحاديث نافع ، وذكر أن ابن جابر رواه عن نافع ولفظه : حتى اذا كان في آخر الشفق نزل فصلى المغرب ثم أقام الصلاة وقد توارى الشفق فصلى بنا ثم اقبل علينا فقال : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اذا عجل به الامر صنع هكذا . وقال : وبمعناه رواه فضل بن غزوان وعطاف بن

(١) المراد بالسبحة النافلة

خالد عن نافع ، ورواية الحفاظ من اصحاب نافع اولى بالصواب فقد رواه سالم بن عبدالله واسلم مولى عمر وعبدالله بن دينار واسماعيل بن عبدالرحمن ابن ذؤيب عن ابن عمر نحو روايتهم ، اما حديث سالم فرواه عاصم بن محمد عن اخيه عمر بن محمد عن سالم ، واما حديث اسلم فأسنده من حديث ابن ابي مريم : انا محمد ابن جعفر اخبرني زيد بن اسلم عن ابيه قال : كنت مع ابن عمر فبلغه عن صفية شدة وجع فأسرع السير حتى كان بعد غروب الشفق نزل فصلى المغرب والعتمة جمع بينهما وقال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جدّ به السير اخر المغرب وجمع بينهما . رواه البخاري في صحيحه عن ابن أبي مريم

وأسند أيضا من كتاب يعقوب بن سفيان أنا أبو صالح وابن بكير قالا حدثنا الليث قال قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن حدثني عبدالله بن دينار وكان من صالحي المسلمين صدقا ودينا قال : غابت الشمس ونحن مع عبدالله ابن عمر فسرنا فلما رأيناه قد أمسى قلنا له الصلاة فسكت حتى غاب الشفق وتصوبت النجوم فنزل فصلى الصلاتين جميعا ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جدّ به السير صلى صلاتي هذه ، يقول جمع بينهما بعد ليل

وأما حديث اسماعيل بن عبد الرحمن فأسند من طريق الشافعي وأبي نعيم عن ابن عيينة عن أبي نجيح عن اسماعيل بن عبد الرحمن ابن ذؤيب قال : صحبت ابن عمر فلما غابت الشمس هبنا ان نقول له قم إلى الصلاة فلما ذهب بياض الافق وفحمة العشاء نزل فصلى ثلاث ركعات وركعتين ثم التفت الينا فقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

حديث أنس في جمع التقديم

وأما حديث أنس في الصحيحين عن ابن شهاب عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما، فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب . هذا لفظ الفضل عن عقيل عنه ، ورواه مسلم من حديث ابن وهب حدثني جابر بن اسماعيل عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا عجل به السير [1] يؤخر الظهر الى وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق . ورواه مسلم من حديث شبابة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يجمع بين الظهر والعصر في السفر أخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر ثم يجمع بينهما، ورواه من حديث الاسماعيلي [2] انا الفريابي انا اسحق بن راهويه انا شبابة بن سوار عن ليث عن عقيل عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان في السفر فزالت الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ثم ارتحل قالت هكذا في هذه الرواية وهي مخالفة للمشهور من حديث انس (للكلام بقية)

(١) في نسخ مسلم عجل عليه السفر (٢) ظاهر هذا ان مسلما روى حديث أنس هذا باللفظ الآتي عن الاسماعيلي وليس كذلك والصواب ان الاسماعيلي رواه عن جعفر الفريابي عن اسحق الخ

العلم والدين

— ٢ —

وبعد : فما هي عناصر الخلاف وعوامل الخصومة التي توجب أن يكون الدين في ناحية والعلم في ناحية أخرى ، وأن ليس إلى ائتلافهما من سبيل ؟

ساق الدكتور في الجواب على هذا السؤال ثلاثة أمور :

(الأمر الأول) أن الدين حين يثبت وجود الله ونبوة الانبياء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ، ولم يصل بعد الى إثبات نبوة الانبياء ، ولا سبيل إلى أن يتفقا إلا يوم يعترف العلم بوجود الله ونبوة الانبياء ، أو يوم ينزل الدين عن وجود الله ونبوة الانبياء . هذا أمر

(الأمر الثاني) أن الكتب السماوية لم تقف عند إثبات وجود الله ونبوة الانبياء ، وإنما عرضت لمسائل أخرى تعرض لها العلم وحكم بوجوده ولا يستطيع أن ينصرف عنها . وهنا يظهر التناقض [illegible] بين نصوص الكتب السماوية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين

(الأمر الثالث) وهو في رأي الدكتور ثالثة الأثافي ان العلم طمع في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله ، وهو لايحفل الآن بأن التوراة تناقضه أولا تناقضه وانما يزعم أن له الحق في أن يضع الدين نفسه موضع البحث ، وقد فعل ، وان العالم ينظر الى الدين كما ينظر الى اللغة واللباس من حيث إنها كلها ظواهر اجتماعية تتبع الجماعة في تطورها وتتأثر بالبيئة والاقليم والوضع الجغرافي ، فهو لم ينزل من السماء وإنما خرج من الارض

هذه هي ثلاثة الادلة التي أرسلها الدكتور في سياق التدليل على متناقضاته

وإني أسائل الدكتور ما حدُّ الخصومة التي يزعمها قائمة بين العلم والدين — أليست الخصومة هي الجدل والغلب حيث يدفع أحد الخصمين مايثبته الآخر ويثبت ثانيهما ما ينفيه صاحبه !

فاذا كان هذا معنى الخصومة ، فهل نفى العلم ما أثبته الدين من وجود الله ونبوة الانبياء ؟ إن في كلام الدكتور جواب هذا السؤال الأخير ، فهو يصرح بأن العلم لا ينفي وجود الله ونبوة الانبياء ، ويقرر في وضوح أن العلم ينصرف عنهما انصرافا تاما الى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص .. فهو إذن مسلم بأن العلم لا يستطيع ان يتناول بالبحث والتمحيص هذين الامرين لعجز آلاته عن بحثهما وتمحيصهما . وهو إذاً مسلم بأن العلم منصرف عنهما انصرافا تاما الى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص . وإذاً فلا خصومة بين العلم والدين في وجود الله ونبوة الانبياء . إذ كيف تقع الخصومة بين طرفين في أمر يعترف أحدهما بأنه عاجز عن مباشرة أسباب الخصومة فيه ؟ وكيف تتصور الخصومة ممن هو منصرف انصرافا تاما عن تناول ما هو مثار الخصومة ؟

فالحق انه لا خصومة بين الدين والعلم على وجود الله ونبوة الانبياء وان ميدان الدين أوسع دائرة من ميدان العلم الحسي . وأنه اذا كان العلم الحسي لم يستطع ان يجري مع الدين في ميدانه الفسيح فان العقل لم ينقطع عن الجري مع الدين في هذا الميدان ولم تنقطع المواد الحسية(١) عن مد الدين بالمساعدة والتأييد فالادلة العقلية على وجود الله وعلى نبوة الانبياء متظاهرة متضافرة ، وليست الصحف اليومية بميدان صالح لنشرها وبسطها(٢) وهي في كتب العقائد مبسوطة مدعمة ومن أحسن تلك الكتب رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فليرجع القارىء اليها اذا شاء

بعد هذا نعرض للأمر الثاني الذي ساقه الدكتور للتدليل على رأيه في وجود الخصومة بين العلم والدين وهو أن الكتب السماوية عرضت لمسائل أخرى يعرض لها العلم بحكم وجوده ولا يستطيع أن ينصرف عنها . قال الدكتور وهنا يظهر تناقض صريح بين نصوص هذه الكتب السماوية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين . على أن الدكتور في هذا الموقف الخطير لم يذكر لنا ولو

(١) المنار : المراد بالموارد الحسية انها سبب الخصب والا فالظاهر ان توصف بالمدية (٢) سبب هذا ان صاحب المقالة أرسلها أولا الى جريدة السياسة اليومية لانها رد على ما نشر فيها كما سيأتي

قانوناً واحداً من تلك القوانين العلمية التي تناقض نصوص القرآن تناقضاً صريحاً في زعمه واكتفى بالاشارة إلى أن في القرآن ذكراً للخلق وصورته ومدته ، وفي علم الجيولوجيا تعرض لهذا ، وبين نظريات علم الجيولوجيا وبين القرآن خلاف قوي عنيف ، هذا خلاف . وخلاف آخر بين الدين والعلم في نشأة الانسان : زعم الدكتور أنه ليس بأقل من الخلاف في خلق السموات والارض ، وان مذهب النشوء والارتقاء لايمكن أن يتفق مع ما في القرآن بوجه من الوجوه ، ولن يتفق علم الامبريولوجيا مع ما جاء في القرآن من تكوّن الجنين ، ومثل ذلك ما بين نصوص القرآن وعلم الفلك من خلاف . هذه هي جملة الأمور التي بنى الدكتور عليها حكمه بأن الدين والعلم ليسا متفقين ولا سبيل الى أن يتفقا إلا أن يتنزل أحدهما لصاحبه عن شخصيته كلها

ولن ترى موقفاً أدنى الى السخف وادعى الى السخرية والاستهزاء بصاحبه من هذا الموقف يقفه الدكتور ... ويتكلم في علوم لا يحسن القول فيها ، ولا يدري الفرق بين نظرياتها وقوانينها فيمثل لك ... حال صاحبه وكيف تجني الحماقة على جانيها ، ويعطيك صورة مضحكة لاولئك الثرثارين المتفيهقين الذين يقع نظرك عليهم كثيراً في النوادي ومجالس السمر حيث يتشدقون بالحديث في مختلف الشئون العلمية والسياسية والاقتصادية وهم لايدرون شيئاً عما يتحدثون فيه ، ولا يعرفون ان كانت السياسة طعاماً يؤكل أو ثياباً تلبس أو أعوبة يتسلى بها الصبية . فلو أن الدكتور كان من علم ما عرض للكلام فيه بالمكان الذي يدعيه لنفسه وبالمنزلة التي يوهم البسطاء والمحدودين أنه لايشق له فيها غبار — لما جهل الفرق بين النظريات والقوانين في العلوم ولا سمح لنفسه ان يتحدث عن ظهور تناقض صريح بين نصوص القرآن وما وصل اليه العلم من النظريات . اذ ما الذي يضير القرآن إذا كان مخالفاً لنظريات لم يبرهن عليها في العلم ولم تصر بعد من اليقينيات المسلمات فيه ؟ ولو أن الدكتور كان يحسن من هذه العلوم شيئاً كما يوهم لما اكتفى بأن يرسل الكلام ارسالا يقف فيه عند حد القول بأن بين نظريات علم الجيولوجيا وبين القرآن خلافاً قويا عنيفاً ، وأن مذهب النشوء والارتقاء لايمكن

أن يتفق مع ما في القرآن بوجه من الوجوه ، الى غير ذلك من أقوال مرسلة ودعاو عريضة ، ولم يذكر لنا ولو بحثاً من أبحاثه الفلكية المخالفة لنصوص القرآن

بيد أننا في هذا الموقف نطمئن الدكتور اشفاقا عليه ونقول له هوّن عليك فان الامر أهون مما تظن فلن يعزل الدين عن شخصيته العلم ولن ينازع العلم الدين في شيء من الاصول الاساسية التي أقرها ، وسيظل العلم والدين صديقين وفيين وخليلين متناصرين على ترقية الانسانية وتوفير الخير لها حتى تقوم الساعة (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ولأجل أن ننزع عن الدكتور ما أحاط به من اللبس ونكشف له عما اشتبه عليه من هذه المسائل التي ذكرها نقول له إن القرآن نزل لهداية البشر الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . وهذه الغاية تتحقق بثلاثة أمور أولها تصحيح عقائد الناس فيما يختص بذات الاله وما يجب لها من صفات الكمال ، وثانيا تهذيب الاخلاق بالمواعظ الحسنة وتكميل النفوس وتزكيتها بالعبادات والاعمال الصالحة والاخلاق الطيبة التي أجمعت العقول على حسنها ، وثالثها اصلاح حال الجماعة بتجديد علائق بعضهم ببعض ووضع العلاج الناجع الذي يشفي الجماعة من أمراضها المستعصية ، وهو في كل ذلك لم يعرض الا قليلا لجزئيات الامور لان الجزئيات كثيرة التغير سريعة التحول ، فقرر القواعد العامة التي تتبارى العقول فيها ، والتي ترمي الى إصلاح الارواح والنفوس من غير إخلال بمصالح الجسد ، واكتفى من الجزئيات بذكر ما فيه نفع ظاهر أو ما فيه ضرر بين

فالقرآن لم ينزل لتقرير قواعد العلوم وتفصيل مسائل الفنون اذ لو كان كذلك لكان كسائر الكتب العلمية التي لا ينتفع بها إلا قليل من الناس ، واذاً يفوت الغرض المقصود منه — أعني هداية البشر — ولو نزل بتفصيل قواعد العلوم وتفصيل مسائلها لاستنفد عمر الانسانية في إدراك قواعده والتصديق بمسائله

فهو اذاً عرض لذكر شيء من الآيات الكونية في سياق التدليل بها على ما يقرره من القضايا فانما يتناوله بالقدر الذي يشترك في التسليم به كافة الناس عامتهم وعلماؤهم ويلفت الاذهان الى ما في تلك الآيات من أسرار تدق على

عقول الدهماء ، ولا تجل عن أفهام العلماء ، في أسلوب يحفز العقول الى المعرفة ويستثير ما كمن في النفوس من الغرائز والقوى الى التبسط في العلم ، واستجلاء آيات الله في الكائنات ، مجزلا للعلماء حظهم من الثناء والتكريم

فتراه حين يدلل على وحدانية الله بما في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الى غير ذلك من الآيات الكونية تراه حين يدلل على الوحدانية بما في هذه الكائنات وغيرها من سنن ثابتة محكمة مطردة تدل على وحدانية صانعها وعلمه وقدرته يعقب ذكرها ببيان أن في ذلك آيات « لقوم يعقلون » وان في ذلك آيات لقوم يعلمون وان في ذلك آيات لقوم يتفكرون، ليوجه العقول الى معرفة ما فيها من آيات، ويسوق النفوس والهمم الى إستجلاء ما في الكائنات من أسرار

وأما إذا عرض لذكر السموات وما فيها من النجوم والكواكب، والأرض وما فيها من المخلوقات والعجائب ؛ فلا يعرض لبيان حقائق الكواكب وأشكالها، ولا لتفصيل مقاديرها وأبعادها ونظام سيرها في أفلاكها أو رجوعها واستقامتها وميلها ، واختلاف مناظرها ، الى غير ذلك من الابحاث الفلكية ، كذلك لا يعرض عند ذكر الارض لوصف شكلها وإثبات حركتها أو سكونها [1] وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار والفصول الاربعة ، ولا بذكر أسباب وجود الجبال واختلاف طبقاتها وألوانها ، ولا أسباب وجود الوديان والزلازل وغير ذلك من الظواهر الطبيعية ، وانما يكتفي بذكر تلك الظواهر وما للناس فيها من نفع أو غيره لافتاً الاذهان إلى ما فيها من سنن وعبر ـ فهو كما قدمنا يتناولها بالمقدار الذي يشترك سائر الناس في العلم به لينال كل حظه من الهداية كقوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف

(١) المنار : لعل الكاتب يريد انه لا يقرر ذلك تقريراً فنياً صريحاً قاطعياً وهذا لا ينافي ان فيه آيات بينة في ذلك على ما اتفق عليه علماء هذا العصر كقوله تعالى (يكوّر الليل على النهار و يكور النهار على الليل) وقوله (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) وغير ذلك مما بيناه في المنار بالتفصيل

ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء) ومن ذا يمارى أن الله منه حياة كل شيء تام ، وان الله يخرج به من الارض ثمرات مختلفاً ألوانها ؟ وان في اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والانعام آيات وأسراراً عظيمة ؟ وان كان لا يقف على كنه هذه الآيات والاسرار الا العلماء.

وكذلك اذا لفت الناس الى ما في خلق الانسان من إبداع الصنع وإحسان الخلق وذكر الاطوار التي تكون الجنين في الرحم وأنه يكون نطفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة فتخلق المضغة عظاما فتكتسي العظام باللحم فانما يذكر الظواهر التي يشترك سائر الناس في إدراكها فاذا أثبت علم الامبريولوجيا أن النطفة تشتمل على حيوان انداني وأنه يتصل ببويضات في الرحم يلقحها فيتكون من مجموعهما انسان يتطور في الرحم في أطوار شتى ، وإذا أثبت هذا العلم بواسطة الميكرسكوب أن تلك النطفة التي يراها الناس علقة ومضغة هي في الواقع انسان تام الاجزاء ولكنه غير تام التكوين ، فهل ينفي ذلك أن النطفة صارت علقة ثم أن العلقة صارت مضغة ؟ وهل يطعن ذلك في القرآن أو ينفيه ؟ كلا [illegible] فكيف يكون العلم ناقضاً للقرآن أو مكذبا له وكيف يعادي القرآن العلم والقرآن يحث الناس على العلم ويزكيه ويصدقه وينبئ بأن في الكائنات أسراراً وآيات قد فصلها لقوم يعلمون ؟ وهل يزكي القرآن العلم والعلماء هذه التزكية ويأمرنا بسؤال أهل الذكر في قوله (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ثم هو مع هذا يعادي العلم ويرد حكمه ؟ لا أظن عاقلا يسلم بهذا

بقي من الأمثلة التي ساقها الدكتور مسألة خلق السموات والارض وتحديد مدة الخلق وما بين مذهب النشوء والارتقاء وبين القرآن من خلاف . فاما مذهب النشوء والارتقاء فلا يزال العلماء الباحثون فيه يرونه نظريا غير مدلل ولا مبرهن فليس من بأس منه على القرآن على فرض أن في نظرياته ما يخالف القرآن .
وكذلك مسألة خلق السموات والارض لم يأت القرآن فيها بتفصيل ينفيه العلم .
فجملة ما يفهم من ظاهر الآيات أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقتا [1] وان السماء كانت كالدخان [2] وان الارض تم تكوينها قبل أن تخلع السماء صورتها الدخانية

(١) سورة الانبياء (٢) سورة فصلت

المعتمة وتلبس هذه الصورة ذات اللون البهيج ، وظاهر القرآن أيضاً ان السموات سبع طباق وانها ذلك الشيء البديع الصنع المتسق الاجزاء المحكم البناء المحيط بالأفق الذي يسحر العقول (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور)

هذه هي السموات . لم يعرض القرآن لبيان حقيقتها ولم يكشف عن ماهيتها ولا عن حقيقة ذلك الشيء ذي اللون الازرق البديع فاذا أثبت العلم أن الارض جزء من الشمس فليس في القرآن ما ينفي ذلك وقد يكون فيه ما يثبته ، واذا أثبت العلم أن هذا الشيء الازرق الذي يعلو رؤسنا ويسمى سماء هو فضاء تسبح فيه الكواكب وان من الكواكب والنجوم ما لا يصل الينا نوره الا بعد ألوف أو ملايين من السنين فليس هذا بالذي يضير القرآن في شيء ، أليس هذا الفضاء في رأي العين متسق الاجزاء كالبناء متناسق التراكيب ما ترى فيه من تفاوت ؟ وكونه سبع طبقات لا يختلف في شيء مع العلم أليس العلم قرر أن هذا الفضاء مسبح للكواكب وان هذه الكواكب متفاوتة البعد في طبقات متمايزة ؟ وماذا يمنع من أن يكون هذا الفضاء سبع طبقات متمايزة لكل طبقة [illegible] الطبقة الاخرى ؟

وأما تحديد مدة الخلق بستة أيام ومافيه من زعم منافاته للعلم فقد أجاب القرآن الكريم عنه فدل على انه (تنزيل من حكيم حميد) . فلئن كان العلم يثبت أن الدنيا قديمة العمر وانها مرت في أطوار مختلفة كل طور منها استغرق آلافاً من السنين فان القرآن يصرح بأن من الايام ما يقدر عند الله بألف سنة بل منها ما يقدر بخمسين ألف قال تعالى (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ثم اذا لاحظنا أن لغة العرب تستعمل السبعين والالف أمثالا لافادة الكثرة من غير قصد الى التحديد بالعدد المعين لم يكن ثم مانع من أن يراد بهذا العدد الكثرة التي تتناول ملايين السنين [1]

(١) المنار : التحقيق أن اليوم في اللغة هو زمن مبهم يقدره ما يقع فيه من حدث كأيام العرب في حروبها وغيرها ومنه (وتلك الايام نداولها بين الناس) وقد فصلنا ذلك في التفسير

هذا تأويل بعض ما أشكل على الدكتور من آي القرآن الكريم لم نخرج فيه عما يفهم من ظاهر اللغة وظاهر القرآن، ولم نحتج في بيانه الى ارتكاب تجوز تلتمس له القرائن العقلية وإن كان هذا مما أذنت به اللغة ونطق به القرآن في كثير من الآيات

ولئن فرض أن السلف أو غيرهم لم يفهموا من بعض آي القرآن ما يفهمه من بعدهم ولئن أول العلماء آية الكريمة فكان في بعض تأويله غير موفق . فليس ذلك بالذي يضر القرآن في شيء . فان القرآن لم ينزل للسلف وحدهم ولقد كان القرآن ولا يزال حجة قائمة على المدارك والافهام

وبعد فماذا بقي في مقال الدكتور من شبهة يحتاج القارىء الى أن نتحدث معه في شأنها ؟ استغفر الله لقد أنسيت

بقي الامر الثالث الذي حدث عنه الدكتور بأنه أعظم من الامرين الاولين خطراً ، و أبعد منهما في تحقيق الخلاف آراء فيت ثالثة الاثافي . بقي أن العلم يطمع في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله ، وأنه يعده ظاهرة اجتماعية وانه لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض

وليس بعجيب أن يطمع العلم في أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله ما دام هذا العلم من نوع ما يدعيه دكتورنا لنفسه ، ولكن العجيب أن نطمع من دكتورنا في أن لا يختم بحثه بضرب من التناقض والسخف أفظع وأشنع مما بدأ به بحثه فيترك القارىء يستمتع ببقية من عقله بعد أن يفرغ من قراءة هذيانه فلقد رأيت مما قدمناه من المقال ان الدكتور يقول بملء فيه ان العلم ينصرف انصرافا تاما عن البحث في وجود الله ونبوة الانبياء (وهما أساس الدين) الى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص ، ويقرر أن العلم لا يستطيع أن يتناولها بالبحث والتمحيص ، وأنت تراه الآن ينقض ما قرره اولا و يعود فلا يكتفي بأن يطمع العلم في اخضاع الدين لبحثه بل يزعم ان له الحق في ان يضع الدين نفسه موضع البحث والدقة . فهل رأيت كهذا التناقض والتخبط ؟

على أننا نصرف النظر عن هذا التناقض أيضاً ونسأله ماذا يقصد بالدين الذي يعده ظاهرة اجتماعية ؟ ويزعم أنه لم ينزل من السماء، وانما خرج من الارض؟

فاذا كان يريد من الدين مجموع العادات والاحوال التي يكون عليها الناس في وقت من الاوقات فله أن يسمي هذا ظاهرة اجتماعية لانتازعه ولاندفعه عن ذلك وإذا أراد به التعاليم المعينة التي أرسل بها نبي من الانبياء إلى أمة من الامم فاننا لانسلم له بذلك فان المعروف من تاريخ الديانات أن الآتين بها لاقوا من عنت أممهم وعدائهم مالاقوا ، وكم ذاق الانبياء من أممهم صنوف العذاب والتنكيل ، وليس حديث موسى وهرون وماقيا من عنت بني اسرائيل ، وليس حديث محمد صلى الله عليه وسلم وما لقي من أذى قومه بالذي يؤيد زعم الدكتور ، ولو كان الدين المنزل ظاهرة اجتماعية اقتضتها روح الامم والجماعات ، كالثورة الفرنسية وغيرها من الثورات ، لثارت الامم له ولم تثر عليه ، ولجاءت به الجماعة لا الفرد ، ولكن إذا جاء به الفرد تلقته أمته بالتكريم والتبجيل لا بالتعذيب والتنكيل وهذا غير ماعرف من تاريخ الديانات .

أرجو أن يكون في هذا البيان شفاء لما عسى أن يكون قد علق بنفس القاري ، من شبه الدكتور طه ووساوسه وأن يكون هذا البحث قد انتهى بنا إلى النتائج الصحيحة الآتية :

وهي أن الدين المنزل من عند الله لاسيا دين الاسلام ليس بينه وبين العلم من خلاف ولا خصومة ، وان الاسلام والعلم سيظلان صديقين وفيين وحميمين متآلفين يتعاونان على خير الانسانية حتى يصلا بها إلى منازل السعادة والكرامة ويكون الناس بهما اخوانا على سرر متقابلين .

٭٭٭

كم أحب أن يفكر الدكتور طه في عاقبة طيشه وتهوره ، وكم أود أن يتروى في بحثه وفيا يكتب ، وألا يطير وراء الشهوات ، ولا ينخدع بما يقرأ له في كتب الفرنجة من الاباطيل والترهات ، وأن يتجنب الكلام في شئون الدين ويحتفظ لنفسه ان أراد أن يفتتن بآراء الملحدين ، إنه إن يفعل ذلك يعصم مصر من شر

مستطير ، ويريح نفسه من عناء كثير ، فليس الاسلام كالمسيحية وليست مصر كفرنسا . فللشرق كرمه ووداعته ، وللغرب تهوره وحدته ، ومصر وإن كانت كغيرها من بلاد الله جادة في حياتها العقلية فانها بالغة بفضل دينها وايمانها وعزائم رجالها فوق مابلغته الامم الأخرى التي تقدمتها ، فلئن كانت الامم الاخرى قد وجدت من دينها عقبة تمنعها من النهوض فاضطرت للثورة عليه ، فان مصر ستجد من دينها وتأييده لها على ماتحاوله من الآمال الشريفة خير عون وأقوى ظهير تركن اليه ، إن شاء الله

محمود أحمد الغمراوي
المدرس بمعهد أسيوط

ملحوظة :— هذا البحث قدم الى جريدة السياسة الاسبوعية في يوم الخميس ٢٩ يوليو رجاء نشره كما نشرت مقال الدكتور طه حسين .

فوعدت وسوفت ثم أخلفت ؟

(المنار) هذا يدل على أن السياسة لا تنشر أمثال تلك المقالات الالحادية من باب حرية النشر [illegible] بل هي لسان حال هؤلاء الملاحدة الاباحيين في هذا الباب ، كما أنها لسان حال حزب الأحرار الدستوريين في السياسة ، بل ظاهر إطلاقها أنها لسان حال هؤلاء . يشمل هذا ولكننا نعرف منهم أفرادا أولي دين وعسى أن يحملوها على ترك الدعاية الالحادية أو ينفصلوا من حزبها محتجين

الصحة

ترجمة	تأليف
الاستاذ الشيخ عبد الرزاق	زعيم الهندوس الاكبر
المليح آبادي	مهاتما غاندي

الباب السادس

— الجدري وهل هو من الامراض المعدية —

نبحث الآن في معالجة الأمراض المعدية . إن هذه الأمراض كلها ترجع الى أصل واحد مشترك ، ولكن عادة الجدري [illegible] خاصة يتهانخصص لها بابا مستقلا وفي أخواته في باب آخر .

لقد اعتدنا أن نخاف كثيراً من الجدري لأوهام واهية تتوهمها فيه . فقد أخذنا في الهند نعبده كأله . والحقيقة أنه يتسبب من فساد الدم لارتباك في المعدة كبعض الأمراض الأخرى. فالسم الذي يجتمع في البنية يخرج بصورة الجدري . وما دام هذا الرأي صحيحاً فليس هنالك أدنى محل للخوف منه . لو كان الجدري مرضاً معديا بالحقيقة لتعدى بمجرد مس المريض . ولكن الواقع ليس كذلك دائما . والحقيقة أن لمس المريض لا يضر اذا اتخذت بعض الاحتياطات الضرورية . نعم نحن لا نستطيع أن نقول ان الجدري لا يتعدى باللمس مطلقاً ، فالذين هم في حالة جسدية ملائمة لانتقاله ينتقل اليهم . وهذا هو السبب في انتقال الجدري الى الآخرين اذا ظهر في جهة من الجهات . وهذا الذي وسع المجال لوهم بأنه مرض معد . ومن هنا أتى تضليل الناس باقناعهم بأن اللقاح طريقة مؤثرة لمنعه . ان اللقاح عبارة عن حقن سائل الجدري الذي يستحصل من ثدي

البقر[1] بعد أن يدخل في ثديها مادة الجدري . لقد كانت الفكرة القديمة هي بأن اللقاح مرة واحدة يحفظ الانسان من هذا المرض طول العمر . ولكن لما وجدوا أن الملقحين أيضاً يصابون به عدلوا عن تلك الفكرة وأخذوا يقولون بأن التلقيح يجب أن يعاد بعد كل زمن معين . وعلى هذا قد جرى عامة الناس الآن سواء كانوا ملقحين أم غير ملقحين . فانهم يلقحون أنفسهم كلما انتشر هذا المرض في احدى الجهات . ولذلك ليس بعجيب أن نرى الآن أناساً قد لقحوا بضع مرات

ان التلقيح عمل همجي ومكيدة من أكبر المكايد التي انتشرت في أيامنا والتي لاتوجد حتى في الأمم التي تسميها متوحشة[2] . ان المدافعين عن التلقيح لم يكتفوا بأولئك الذين لايرون أي اعتراض إزاءه . بل قد اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في اجرائه على جميع الناس بالقوانين التعزيرية والعقوبات الاجبارية الصارمة . ان عملية اللقاح ليست بقديمة العهد بل قد ابتدأت من سنة ١٧٩٨ م ولكن في خلال هذه المدة الوجيزة ثبت أنه قد سقط الملايين من الناس فريسة لوهم القائل بأن الذين يلقحون يحفظون من الجدري . لايستطيع أحد أن يدعي أن الذين لايلقحون لابد من أن يهاجمهم الجدري . لأنه قد وجدت أمثلة كثيرة لغير الملقحين لم يصابوا به قط . وكذلك لايصح أن يستنتج من اصابة غير الملقحين بالمرض أنهم لو لقحوا لسلموا منه .

على ان التلقيح عمل وسخ للغاية لأن المصل الذي يدخل في الجسم الانساني لايحتوي على مايخرج من البقر فقط بل كذلك يكون قيحاً حقيقياً للجدري . ان الرجل العادي ليتقيأ بمجرد النظر الى هذا الشيء . واذا تلوث يده بهذه المادة يغسلها حالا بالصابون ، ولو طلب منه أن يأكله لنفر وغضب غضباً شديداً . ولكن الذين يرضون بالتلقيح لايفهمون بأنهم في الحقيقة يأكلون هذا

---

(١) المعروف انه يستخرج من مادة الجدري نفسها لامن ابن البقر فقط واما الذي بعضه اليه استخراجه من البقر المقدس وقد يوجد من قومه من يعتقد ان ما يؤخذ من البقر ينفع اقداستها ، وعند الهندوس شجر مقدس يعتقدون انه يشفي من الجدري ، رأيته في بارس (٢) من غرائب شذوذ المؤلف استشهاده بالامم المتوحشة وأغرب منه جعلها ثابة بقوله : حتى . . . والموضوع عمل مدني في !!

الشيء الوسخ بعينه ![1] يعرف كثير من الناس بأن الأدوية والاطعمة الرقيقة تحقن في كثير من الامراض في الدم فتتحلل في البدن بسرعة أكثر مما لو أكلت بالفم. وكل ما هنالك من الفرق بين الحقن والأكل العادي بالفم بأن الأول يمتزج حالا بينما الثاني يمتزج ببطء . ولكن مع هذا نحن لا نتردد في تلقيح أنفسنا . فقد قيل حقاً « ان الجبان يموت مرات كثيرة قبل موته » كذلك تهافتنا على التلقيح بسبب خوفنا من الموت أو من تشويه الجدري لوجوهنا .

وأنا لا أملك دفع الشعور بأن التلقيح هتك لاحكام الدين والاخلاق معاً . ان شرب الدم وان كان من البهائم المذبوحة يمقته أشد المقت حتى أولئك الذين يأكلون اللحم عادة ! وليس التلقيح دم حيوان حي معصوم بعد تضنيه ؟ فما أجدر الذين يخشون الله بأن يقعوا فريسة للجدري ويموتوا موتا مريعا من أن يرتكبوا جناية خبيثة مثل هذه الجناية !

لقد اكتشف بعض المفكرين في انكلترا بعد تحقيق دقيق المضار المتنوعة للتلقيح ، وقد أسست جمعية هنالك ضد هذا العمل تدعى Anti-Vaccination Society وأعلن أعضاء هذه الجمعية حرباً عنيفة على التلقيح ورضوا أن يدخلوا السجون عوضا من أن يخضعوا له أو يسكتوا عليه . ان اعتراضاتهم على اللقاح تتلخص فيما يأتي :—

(١) ان تجهيز المادة من ثدي البقر والعجل يوجب عذابا أليما على ألوف من المخلوقات المعصومة . وهذا لا يمكن أن يجوز مهما كانت فوائد التلقيح كبيرة .

(٢) ان التلقيح عوضا من أن ينفع يجلب ضرراً كبيراً لانه يسبب أمراضا كثيرة جديدة حتى ان المدافعين عنه أيضا لا يستطيعون أن ينكروا أن أمراضا كثيرة جديدة قد ظهرت بعد شيوعه .

(٣) ان المادة التي تستحصل من دم المصاب بالجدري قد تحتوي على ميكروبات لامراض مختلفة كامنة في المريض فينقلها الى السليم الذي يلقح به .

(٤) ليس هناك أي ضمان يضمن أن لا يصاب الملقح بالمرض فالدكتور جينر Jenner

---

(١) هذا الكلام من المنفرات الشعرية لا من القضايا العلمية

مخترع اللقاح زعم في أول الامر أن الصيانة التامة تحصل بلقاح واحد في ذراع واحد . ولما ثبت بطلان هذا قالوا ان اللقاح على الذراعين يحصل به المقصود . ولما ثبتت خيبة هذا الرأي أيضا أخذوا يزعمون أن الذراعين كليهما يلقحان في أماكن متعددة ويجدد التلقيح في كل سبع سنين . وقد نقصوا أخيرا مدة هذه الصيانة الى ثلاث سنين ! فكل هذا يثبت أن الاطباء أنفسهم ليسوا متفقين في المسألة . والحق ما بيناه آنفا وهو أنه ليس هنالك قول بأن الملقح لا يصاب بالجدري ، أو أن جميع أحوال الصيانة انما هي نتيجة التلقيح .

(٥) ان المادة جوهر وسخ ومن الحق الاقتناع بأن وساخة تزيل وساخة أخرى

فبهذه وغيرها من الدلائل قد حوت هذه الجمعية رأي جم غفير من الناس ضد اللقاح . يوجد في انكلترا بلد يرفض أكثر أهاليها التلقيح ، ولكن مع ذلك قد أثبتت الاحصاءات بأنهم سالمون من المرض بطريقة عجيبة[1] ان الحق الصراح هو أن المنافع [illegible] الاطباء هي التي تحول دون نسخ هذا العمل الوحشي ، فانهم لخوفهم من ضياع ايراد كبير يحصلونه الآن من هذه الطريقة قد عموا عن الشرور الكثيرة التي تنجم من هذا العمل الشنيع ! ولكن هنالك من الاطباء من اعترفوا بهذه الشرور وهم ألد الخصوم للتلقيح .

لاريب أن الذين يمقتون التلقيح مسوقين من قبل وجدانهم هم الذين يملكون الجرأة على أن يقابلوا جميع العقوبات التي يصبها عليهم القانون بقلب ثابت، وان دعت الضرورة يقفون وحدهم أمام جميع الدنيا للمدافعة عن معتقدهم . ان الذين يتحرزون من التلقيح لاسباب صحية فقط يجب أن يحققوا تحقيقا تاما في المسألة حتى يتأهلوا لاقناع الآخرين بصحة أفكارهم ويسوقوهم إلى العمل بها . ولكن الذين ليست لهم أفكار معينة في المسألة أو ليست فيهم الجرأة الكافية للمدافعة

---

(١) الانكليز شعب محافظ متدين ولما كشف لقاح الجدري وسنت الحكومة قانونا للعمل به قاومها الذين حرموه تحريما دينيا كما يحرمه غندهي اليوم فاضطرت الى وضع مادة في القانون تستثني من يعتقدون حرمته من إكراههم عليه وبقي هذا التقليد الى اليوم

من عقائدهم فلا ريب أنه يجب عليهم الخضوع لقانون الحكومة ، والاولى لهم مجاراة الوسط الذي يعيشون فيه .

ان الذين يتحرزون من التلقيح يجب أن يراعوا بكل قوة أصول الصحة التي قد بينت في هذا الكتاب . لان المراعاة التامة لهذه الاصول هي التي تحفظ في الجسم تلك القوى الحيوية التي تزاحم ميكروبات جميع الامراض ، وتكون أحسن وقاية من الجدري وغيره من الامراض . ولكنهم ان كانوا أثناء مخالفتهم لادخال المادة السامة — التي هي اللقاح — في أجسامهم يسلمون أنفسهم للسم الذي هو أكبر من هذا السم — أي سم الشهوة والفسوق — فانهم بلا ريب يحرمون أنفسهم من قبول الناس لافكارهم .

علاج الجدري : —

اذا ظهر الجدري على الجسد ظهوراً تاماً فأحسن علاج له هو « ويت — شيت — باك » الذي يجب أن يستعمل كل يوم على الاقل ثلاث مرات ، فانه يزيل الحمى ويشفي الجروح بسرعة ، وليس هناك حاجة لاستعمال الزيوت أو الدهان فوق الجروح . نعم اذا أحدثت البثور تشققاً فزيت الزيتون يستعمل دائماً ويستحم المريض كل يوم . هكذا تسقط القشور بسرعة وتزول البثور سريعاً ، ويستعيد الجلد لونه الطبيعي ورونقه .

يجب أن يكون غذاء المجدور من الرز والثمار الطرية الخفيفة مع عصير الليمون ويجتنب جميع الثمار الثقيلة مثل التمر واللوز . ان الجروح عامة تأخذ في الاندمال تحت تأثير « ويت — شيت — باك » في أقل من أسبوع ، وان لم يحصل ذلك فمعناه أن السم لايزال في الجسم ولم ينفجر تماما ، فعوضاً من أن نعد الجدري مرضاً فظيعاً يجب أن نعده كأحسن علاج من الطبيعة لاخراج السم المجتمع من الجسم لتبقى الصحة كأحسن ماينبغي .

اذا شفي الجدري فالمجدور يبقى ضعيفاً لمدة من الزمن وفي بعض الاحوال يصاب بأمراض أخرى . ولكن هذه الامراض لاتكون نتيجة الجدري نفسه ، بل للمعالجات الخاطئة التي تستعمل له ، وكذلك استعمال الكينا في الحمى قد يوجب

الصم وقد يقود إلى أشد أشكاله وهو يعرف بـ« Quininism » (بالكينينسم)
وكذلك الزئبق في الامراض التناسلية يسوق الى أمراض كثيرة جديدة .
وهكذا الاكثار من شرب المسهلات في الامساك يحدث أمراضاً كالبواسير .
ان الطريقة الوحيدة المؤثرة في المعالجة هي تلك التي تزيل الاسباب الاساسية
للادواء بمراعاة قوية لقواعد الاساسية الصحية حتى إن الجواهر المحرقة
التي تعد علاجا ناجعاً حتمياً لمثل هذه الادواء مضرة جداً في الحقيقة . لانها وان
كانت تعد نافعة بادي الرأي فانها تحرك دواعي الشر وتقضي في الاخير على الصحة

اذا عولج الجدري بالطريقة الساذجة الطبيعية التي ذكرناها آنفاً فهي لا تزيل
المرض فحسب ، بل تجعل المجدور في مأمن منه الى آخر العمر[1]



الباب السابع

الأمراض المعدية الأخرى

نحن لانخاف من الحماق كما نخاف من الحبه الجدري . لانه أقل خطراً على
النفس وأقل تشويهاً للوجه منه . مع أنه الجدري بعينه في شكل آخر . ولذلك
تجب معالجته بنفس تلك الطريقة التي يعالج بها الجدري :

الطاعون وعلاجه الغذّي

ان الطاعون الغذي مرض خطر ، وقد سبب موت الملايين من اخواننا منذ
دخوله بلادنا سنة ١٨٩٦ م ، ولم يهتد الاطباء الى الآن مع عظيم جهدهم الى علاج
ناجع له ، وقد راجت في هذه الايام عملية التلقيح له أيضاً رواجاً عظيما ، وتأصل

(١) المنار : لاشك في ان غلو بعضهم في تقبيح تلقيح الجدري سببه الشعور
الديني كبعض متقدمي الانكليز ومتأخريهم . وفقهاؤنا ناطوا الحكم بالاطباء الثقات
والحق ان المسألة لاعلاقة لها بالدين وانما هي كغيرها من أمور الطب والعلاج منوطة
بالاطباء فان اختلفوا في أمر فالعاقل يعمل بما هو الاحوط ، والاطباء عندنا متفقون
على نفع التلقيح ، وقلما نرى أو نسمع ان أحداً تضرر منه فهو إذا لم ينفع لا يضر . هذا هو
المعروف المجرب والنادر لا حكم له

في النفوس الاعتقاد بأن حملة الطاعون يمكن الامن منها به ، ولكن التلقيح للطاعون رديء، وانه مثل تلقيح الجدري ، إذا وإن كنا نعلم أنه لم يعرف لهذا الداء علاج ناجع الى الآن نتجرأ على اقتراح العلاج الآتي لاولئك الذين يثقون ثقة مطلقة بالخالق سبحانه[1] والذين لايخافون من الموت . وهو :

(١) استحمام « ويت — شيت — باث » بمجرد ظهور علائم الحمى .

(٢) وضع اللبخة الطينية الغليظة على الغدة .

(٣) تجويع المريض تماما .

(٤) ان أحس المريض بالعطش يسقى عصير الليمون في ماء بارد .

(٥) ينوم المريض في هواء طلق .

(٦) يجب أن لايكون بجنبه أكثر من مريض واحد .

يمكننا أن نقول بكل ثقة إنه ان كان هذا الداء الوبيل يتأتى الشفاء منه بعلاج ما فهو هذا العلاج .

إنه وإن كان المصدر الحقيقي لهذا المرض غير معلوم إلى الآن ، لا يمكن أن ننكر أن الفيران [illegible] يجب أن تتخذ جميع الاحتياطات في الجهة التي دخل فيها الطاعون لمنع دخول الفيران فيها ، وان عجزنا عن التخلص منها فلنهجر البيوت .

ان أمثل طريقة لصد هجوم الطاعون هي المراعاة التامة لاصول الصحة : المعيشة في هواء طلق ، وأكل غذاء جيد خفيف بالاعتدال ، والتريض برياضة جيدة ، وجعل البيت نظيفاً ، وترك جميع العادات القبيحة ، وبالاختصار جعل الحياة ساذجة طاهرة من كل الوجوه — يجب أن تكون حياتنا دائما كذلك ولكن في أيام الطاعون وغيره من الأوبئة يجب أن تضاعف الاحتياط .

الطاعون الرئوي والهيضة

إن الطاعون الرئوي لاشد أنواع هذا المرض خطراً فيكون هجومه بغتة وخطرا

---

(١) هذه معالجة فنية كالمعالجة بالتلقيح فلماذا جعلها خاصة بالمتوكلين على الله دون الاخرى التي يعدها من ضعف الايمان أو فقده الملّ دين المقدوس يفرق بينهما

على الدوام . يصاب المريض بحمى شديدة ويجد صعوبة كبيرة في التنفس وفي اكثر الحوادث يغمى عليه . وقد انتشر هـذا القسم من الطاعون في افريقية الجنوبية سنة ١٩٠٤ وقد قلنا فيما سبق [1] إنه لم يسلم من ٢٣ اصابة به الا رجل واحد . وأما علاج هذا الطاعون الرئوي فمثل علاج الطاعون الغددي تماما ، الا أن اللبخة تستعمل في الاول في الجانبين من الصدر . ان كان ليس هنالك فرصة لاستحمام « ويت شيت باك » فيجب أن تربط اللبخة الطينية على الرأس . ولا حاجة الى التنبيه ـ في شأن هذا المرض وغيره ـ أن الوقاية خير من المداواة على كل حال

نحن نخاف من الهيضة (الكوليرا) مثل ما نخاف من الطاعون ، ولكنها في الحقيقة أقل خطراً من الطاعون بكثير . إن استحمام « ويت شيت باك » ليس بنافع في هذا المرض ولكن اللبخة الطينية تستعمل على البطن . وأما الاعضاء التي تتشنج ويحس فيها بوخزات ألمية فتدفأ بقنينة مملوءة بماء ساخن . وتدلك الارجل بزيت الخردل ويجوع المريض . و[illegible] الحذر من أن يجوع المريض ان كان الاسهال كثيرا جدا ولا ينبغي أن يقوم المريض كل مرة من فراشه بل يوضع تحت السرير وعاء للبراز ان اتخذت هذه الاحتياطات في الوقت اللازم تماما فالخطر هناك قليل .

ينتشر هذا المرض في أيام الحر عند ما تأكل عامة الثمار الفجة أو مقادير كبيرة زيادة على أكلنا الاعتيادي من الناضجة . والماء الذي نشرب في هذا الفصل يكون أحيانا وسخا ، لانها تقل كميته في الآبار والاحواض والمناقع في هذه الايام ونحن لا نحب أن نكلف أنفسنا غليه أو تقطيره . ثم إن الذي يزيد المرض انتشاراً هو ترك براز المريض مكشوفا فتنتشر جراثيمه في الهواء . لاشك أننا عند ما نتفكر في قلة اهتمامنا بهذه الحقائق والاصول الاولية يجدر بنا أن نستغرب كون مهاجمة هذه الأمراض والاوبئة الخطرة لنا دون تعرضنا لاسبابها .

يجب أن نأكل قليلا ونقتصر على المأكولات الخفيفة اذا انتشر هذا الوباء وأن نملك شهوتنا تماما ونستنشق كمية كبيرة من الهواء النقي ونغلي الماء الذي نشربه الى درجة الفوران ونصفيه في قماش غليظ نظيف . ويجب أن نغطي براز المريض

(١) راجع الباب الرابع من القسم الثانى

بتراب أو رماد كثير جاف مثل ماينبغي ذلك في الاحوال العادية . ان فعلنا كل هذا فيكون هناك خطر قليل جداً لانتشار الهيضة (الكوليرا) إن الحيوانات الدنيئة مثل القطط تعمل هذا الاحتياط دائماً ، ولكننا نحن معشر البشر أصبحنا أحط منها في هذا الشأن .

وأني أؤكد بكل قوتي المصابين بالامراض المعدية والذين يعيشون حولهم بأنه لاينبغي لهم أن يوسعوا المجال للخوف والجزع على أنفسهم في حال من الاحوال لأن الخوف يشل الاعصاب ويزيد خطر الهلاك :

باب الانتقاد على المنار

كعب الاحبار ووهب بن منبه

في انتقاد الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحمن الحجوي علينا في جرحنا لكعب الاحبار ووهب بن منبه أغلاط وآراء غير صحيحة لو أردنا أن نبينها كلها بالتفصيل لأخذنا من صحائف المنار [illegible] فانه أطال الكلام فذكر انتقاده الأول وردنا عليه و[illegible] [illegible] ما أعاد ذكر شبهته على ضرر جرح الحبرين بتأثير شبهات الملاحدة على الاسلام وطول اشتغاله بالزراعة كما قال لم يختبر في هذا الموضوع بعض اختبارنا في ثلث قرن قضيناه في معالجة هذه الشبهات ومناظرة هؤلاء الملاحدة وأمثالهم من خصوم الاسلام والرد عليهم قولا وكتابة .

وقد ثبت عندنا أن روايات كعب ووهب في كتب التفسير والقصص والتاريخ كانت مثار شبهات كثيرة للمؤمنين لا للملاحدة والمارقين وحدهم ، وأن المستقلين في الرأي لايقبلون قوله أن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بعدالته فهو عدل وإن ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح مالم يظهر لهم

وأنا لا أتكلم فيما أطال به من المباحث الخارجة عن الموضوع ولا في الاقوال والنقول في توثيق جمهور رجال الجرح والتعديل للحبرين كعب ووهب حتى النقل عن المعاصرين الذين ليسوا منهم كالقاسمي والخولي والخضري وما يتعلق بذلك من مدح بعض الافراد أو الكتب الذي لا أنازعه فيه وإن لم يكن كله مقبولا عندي وانما أتكلم في أهم ماجاء به المنتقد في مقاله الاخير من تخطئتي في الموضوع والاستدلال عليه فأقول :

﴿ الانتقاد الاول ﴾

عبارة الحافظ الذهبي في كعب « وله شيء في صحيح البخاري وغيره » ووقع في قولنا وليس له شيء . ولا ندري الآن كيف وقع ذلك هل نقلناه من كتاب آخر أو سبق به القلم لما هو معلوم عندنا من ان البخاري لم يرو عنه شيئا في صحيحه ؟ ومهما يكن من السبب فاننا نعترف بأن الذي في تذكرة الحفاظ هو الاثبات كما ذكره

﴿ الانتقاد الثاني . رمي معاوية لكعب بالكذب ﴾

اعترف المنتقد بان مارواه البخاري عن معاوية من قوله أنهم كانوا يبلون (أي يختبرون) الكذب على كعب الأحبار طعن شديد في عدالته ، اذا أخذ على ظاهره ، وقد رده بما يأتي

(١) ادعى أن الصواب في العبارة أنها مدح له بدليل ما نقل عنه في تهذيب التهذيب (أي معاوية) من قوله فيه : ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين .

ووجه الاستدلال بهذا عند المنتقد ان بين هذا القول وذلك القول تناقضا بين عبارتي « خليفة من خلفاء الاسلام وصحابي من أكابر الصحابة هداة الأنام ، مشهور بحصافة الرأي ومعروف بالبلاغة » الخ ماقاله في تعظيم معاوية مما يكاد يجعله به معصوما من الخطأ مع إجماع أئمة السنة والشيعة على أنه كان باغيا على أمير المؤمنين علي المرتضى وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة وفتن ومعاص لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة

نعم يقول المتكلمون إنه كان في بغيه متأولا لامتعمداً وقد نقلوا من تأوله أنه لما احتج عليه بالحديث الصحيح في عمار بن ياسر « تقتله الفئة الباغية » قال انما قتله من أخرجه ! ! فرد عليه أمير المؤمنين علي لما بلغه ذلك أن رسول الله (ص) هو الذي قتل عمه حمزة وجعفرا وغيرهما من شهداء بدر وسائر الغزوات

فهذا استطراد تقابل به استطراده في مدح معاوية بغير مناسبة لغرضه

والجواب عن هذا الفهم الغريب الذي قواه بالاطراء والثناء هو أن العبارتين لاتناقض بينهما كما فهم ، فني كل منها اعتراف بأن كعباً كان ذا علم كثير وثبوت العلم الكثير لايقتضي نفي الكذب فكم من عالم كان أعلم من كعب الأحبار وكان يكذب . إن علم كعب كان جله عندهم مايرويه عن التوراة وغيرهامن كتب قومه وينسبه اليها ليقبل ولاشك في أنه كان من أذكى علماء اليهود قبل إسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده . ومن كبار علماء التفسير الذين رماهم المحدثون بالكذب السدي الصغير ـ وكذا الـكبير ـ والكلبي وأمثالهم كثيرون . والاستاذ المنتقد نسي ماقاله العلماء في تعريف التناقض وشروط تحققه أولم يقرأ المنطق ، فان كان معاوية معصوما منعفيذه العصمة لاتخدش ما فيه هو من عبارتيه ، وهما لاتدلان عليه

(٢) قوله ان العبارة المذكورة لاتصلح من حيث تركيبها العربي دليلا على أقل ألفاظ هذا النص [illegible] على إسناد الكذب [illegible] إلى الكتاب » باعتبار مافيه من التبديل أقرب من إسناده إلى « كعب » كما قرره شراح البخاري » ولانه أقرب مذكور » ثم ادعى ان جميع شراح البخاري فهموا من هذه العبارة توثيق معاوية لكعب (!!) » وأن الخليقة ابتلى الكذب على الكتاب نفسه لما فيه من التحريف والتبديل بناءعلى عود الضمير الى أقرب مذكور » وليس الأمر كذلك

استدل المنتقد على هذه الدعوى بعبارة نقلها عن فتح البارى في شرحه الكلمة معاوية فتصرف فيها كما يشاء وهي لاتدل على دعواه ولا توضحه كما ادعى وانما هي عبارة عن تفسير لفظ الكذب بقول الحافظ « أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف مايخبرنا به » ولكن زاد عليها المنتقد « فلفظ يقع يدل على أن المخبر به أمور من قبيل مايسمونه ملاحم ولا علاقة لذلك بأمر الدين الاسلامي »

أقول هذا فهم غريب جداً جداً فاننا لانعلم أن أحداً من علماء اللغة فسر كلمة يقع بما فسرها به ، فمن اين جاءته هذه الدلالة ؟ أما والله إن من يفهم مثل هذا الفهم ويكتبه في انتقاد علي ليس جديراً بأن يرد عليه في شيء .

قال المنتقد بعدهذا : ثم نقل الحافظ ابن حجر عقب رأيه الشخصي المذكور عبارة

ابن التين على طولها وعبارة ابن حبان في توثيق كعب بما يقرب من هذا المعنى اه

وأقول الحق أن عبارة ابن التين قصيرة لا طويلة وهذا نصها : وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور : بدل من قبله فوقع في الكذب (قال) والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها ، إلا أن كعبا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه . وقال ابن حبان في كتاب الثقات : أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا اه

وأقول إن عبارة الحافظ وعبارتي ابن التين وابن حبان لا يدل شيء منها على ما ادعاه المنتقد وأورد العبارات لتأييده وتوضيحه وهو أن نص عبارة معاوية العربي لا يدل على وصفه بالكذب بل يدل على الثناء عليه وتوثيقه لأنه يتعين أن يكون قوله نبلو عليه الكذب للكتاب لا لكعب ، وأعمى إيراد احتمال في سبب الكذب وتسميته خطأ ، ولكن الحافظ نقل احتمال عود الضمير الى الكتاب عن مجهول وعن القاضي عياض صحة الوجهين وميله الى ماقيهما

ثم قال المنتقد : « أما القسطلاني فابتدأ شرح الموضوع بتوجيه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشرة ثم نقل عن الحافظ ابن الجوزي المعروف بتشدده في التعديل مانصه توثيقا » يعني أن الكذب فيما يخبر به عن أهل الكتاب لا منه . فالأخبار التي يحكيها عن القوم يكون في بعضها كذب ، فأما كعب الاحبار فمن خيار الاحبار » وكذا عبارة العيني والكرماني والسندي وهو آخر من كتب على البخاري فيما نعلم » اه

أقول هذا الذي عزاه الى القسطلاني أيضاً تلبيس وايهام ، وأجله عن تسميته كذبا ككذب كعب الاحبار ، فالمقام مقام ايراد شواهد على ما ادعاه من كون عبارة معاوية لا تدل بنصها العربي على إسناد الكذب اليه بل تدل على إسناد الكذب الى الكتاب لانه أقرب مذكور (!) والقسطلاني لم يوجه الاحتمالين في مرجع الضمير مباشره كما فهم خطأ أو ادعى . وانما جزم برجوع الضمير الى كعب وذكر رجوعه الى الكتاب بصيغة التمريض « قيل » لانه ضعيف بل غلط وهذا نص عبارته « الضمير المخفوض بعلى يعود على كعب الأحبار يعني أنه يخطئ فيما يقوله

في بعض الاحيان ، ولم يرد انه كان كذابا ، كذا ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقيل ان الهاء في « عليه » راجعة إلى الكتاب من قوله : ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب . قال القاضي عياض وعندي انه يصح عوده على كعب أو على حديثه ، وان لم يقصد الكذب أو يتعمده كعب إذ لا يشترط في الكذب عند أهل السنة التعمد بل هو إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه ، وليس في هذا تجريح لكعب بالكذب اه ثم ذكر بعدها عبارة ابن الجوزي المارة

فظهر بهذا ان القسطلاني جزم بأن الضمير يعود على كعب خلافا لما قال المنتقد، وأنه تبرأ من قول ابن حبان بأن معاوية لم يرد بقوله انه كان كذابا لقوله : كذا قال ابن حبان ، وان نص القاضي عياض ليس فيه احتمال عود الضمير إلى الكتاب بل هو راجع إلى كعب نفسه أو إلى حديثه المفهوم من فعل يحدثون . إذاً لم يقل باحتمال عوده إلى الكتاب إلا ذلك القول الذي [illegible] الحافظ بقوله « وقال غيره » بعد عبارة ابن حبان ، وقال القسطلاني في حكايته : (وقيل)

والقول الفصل في هذه المسألة ان المتبادر من عبارة معاوية الذي يفهمه كل من يعرف اللغة العربية من إطلاقها ان الضمير راجع الى كعب الاحبار نفسه كما فسرها ابن حجر والقسطلاني والجمهور ، وذلك ان الكتاب لم يذكر في العبارة عمدة مستقلا فيعود عليه الضمير ، وانما ذكر مضافا اليه كلمة أهل، فأهل الكتاب هم العمدة في العبارة ، وانما قاله مجهول لاقيمة لقوله لمخالفته المتبادر الذي جرى عليه الجمهور ، وهذا يدحض دعوى المنتقد ان عبارة معاوية لا تدل بنصها العربي الا على عود الضمير على الكتاب ودعواه ان الجمهور جروا على هذا ، والسياق يقتضي أن تكون كلمة معاوية في ابتلاء الكذب عليه استدراكا على ما قبلها اذ قال : الا انا كنا نبلو عليه الكذب . ولا معنى لهذا الاستثناء على القول باحتمال عود الضمير الى الكتاب

غاية الامر ان هؤلاء الشراح لما كانوا مقلدين لمن عدل كعباً من رجال الجرح والتعديل أوّلوا عبارة معاوية بما علمت من كونه غير متعمد للكذب اذ كان ناقلا له عن غيره — وانه كان مخطئا لا كذابا الخ وهذه غفلة منهم عن الواقع وهو أنه

كان يزعم انه ينقل عن الكتاب نفسه لأنه قرأ الكتب وما كان حبراً عند اليهود الا بذلك ولم يكن راوياً لها عن غيره على أن التأول له بتسمية الكذب خطأ جرح له ينافي صحة روايته ولكن لا يقتضي أنه وضاع كما أثبتنا بالدليل

(٣) ادعاؤه ان غرض معاوية مما ذكره للقرشيين في سياق الكلام عن رواة الاسرائيليات « ارشادهم الى الثقة بما صح سنده الى كعب مما حدث به عن كتب أهل الكتاب القديمة » الخ

وضرب المنتقد مثلا لذلك ، ما نقله الحافظ في الفتح ان النبي صلى الله عليه وسلم موصوف في التوراة بصفة واضحة حيث قال في السطر الاول منها « محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام »

أقول ذكر المنتقد في دعواه هذه مسألة الثقة بما صح سنده عن كعب مبنية على ما سيأتي التنبيه عليه من ادعائه ان كل ما ينقد من المرويات عنه فآفته الرواة عنه ، وهذه القاعدة لم تكن مما يخطر ببال معاوية اذ كان معاصراً لكعب وسمع منه هو وأهل عصره و[illegible] سمع مرويات من [illegible] الذين منه فقد سمعها من سمعها منه ، ولم يكن هذا [illegible] ولا كان في زمن معاوية شيء من هذا الاصطلاح ولا من هذا البحث . وسياق الكلام يأبى هذه الدعوى كما يأبى ما قبلها وهو ان معاوية ذكر عبارته عند ذكر كعب فالكلام فيه لا في الكتاب وقد فضله على غيره من المحدثين عن أهل الكتاب وجعل قوله « وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » غاية ما ندر ، لأعلى تفضيله على غيره منهم كما أشرنا اليه في المسألة الثانية من هذا الانتقاد

هذا وان ما اعترف المنتقد بصحته من رواية كعب عن التوراة من وصف النبي (ص) كذب على التوراة أيضاً وبثها كان يخدع المسلمين ، ولو كانت هذه العبارة في التوراة لرواها من أسلم على يدي النبي (ص) من أحبار اليهود كعبد الله ابن سلام وجماعته (رض) ولنقلت بالتواتر ولكان لها شأن عظيم ، اذ لا يمكن للمعاندين تأويلها كما أولوا البشارات غير الصريحة بهذا المقدار

(٤) قد اثبات المنتقد على البخاري كما اثبات على معاوية في بيانه لغرض كل منهما : فرض هذا من عبارته وغرض ذاك من ذكرها في ترجمة الباب الذي عقده

للنهي عن سؤال أهل الكتاب عن شيء . قال ان غرض البخاري يؤخذ من قول العيني في مطابقة عبارة معاوية لترجمة الباب وهو « مطابقته للترجمة في ذكر كعب الاحبار الذي كان يتحدث من الكتب القديمة ويسأل عنها أحبارهم » قال المنتقد ومنه يعلم ان غرض البخاري هو الاحتجاج بكعب الاحبار في دفع التعارض بين النهي في الترجمة بقول النبي (ص) « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » وبين الامر في قول الله تعالى (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) بأن كعبا كان ممن يسألون لأنه قرأ الكتاب من قبل ثم أسلم . . . والنهي كان عن سؤال من لم يسلم، وقد جعل المنتقد هذا الاستنباط الباطل أدل على توثيق البخاري لكعب من روايته عنه التي اعتذر عنها بعدم توفر السند الصحيح اليه كما تقدم في مقاله

أقول : عبارة العيني لاتدل على ما استنبطه منها فان الباب كله في النهي عن أخذ شيء عن أهل الكتاب لأن شرع الاسلام ناسخ لشرعهم ولأن نبي الاسلام خاتم النبيين ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعه كما صرح فيها ، ولانهم لا يهدون المسلمين وقد ضلوا ، كما في احاديث الباب وما ذكروه في شرحها ، والظاهر أن غرض البخاري من إيراد عبارة معاوية تأكيد عدم الثقة بما ينقل عنهم حتى إن كعبا الذي كان يعد من أصدق المحدثين عنهم كانوا قد اختبروا عليه الكذب أي فكيف يوثق بما ينقله غيره عنهم ? ولا ينافي هذا ما ذكره بعضهم من الاعتذار عن كذب روايته بان سببها كذب من أخذ عنهم لا كذبه هو ؛

هذا وإن البخاري لم يذكر في هذا الباب قوله تعالى (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فيصح قوله إنه أراد الجمع بينه وبين حديث الترجمة وأما ذكره الحافظ في آخر الكلام عليها من الفتح استطرادا لمناسبته الموضوع فلا يدل ايراده له على شيء مما استنبطه المنتقد بفهمه الغريب للكلام

والتحقيق أنه لا تعارض بين الآية والاحاديث فيحتاج إلى الجمع بينهما وأن هذا الجمع على تقدير التعارض غير صحيح

أما الأول فان الأمر بسؤال أهل الكتاب في آية يونس ليس أمراً تكليفياً لايخرج النبي (ص) من عهدته الا بسؤالهم فيقال انه أمره بسؤال من آمن منهم ، بل

هو أمر في معنى الخبر مبني على فرض المحال وهو شك النبي (ص) في الوحي الذي أنزل اليه مطلقا أو في قصة موسى من سورة يونس الذي أنزل في آخرها (١٠ . ٩٤ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، لقد جاءك في هذه الحق فلا تكونن من الممترين) فهذا التعبير يراد به أن ما في هذه السورة من قصة موسى معروف عند أهل الكتاب في كتابهم بحيث لو سئلوا عنه لما استطاعوا إنكاره : وقد ورد في التفسير المأثور عن ابن عباس (رض) أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يشك ولم يسأل ، وروي هذا مرفوعا أيضا : وبعض المفسرين أورد فيها وجوها أخرى تقتضي من جعل هذا الامر بسؤالهم على ظاهره ، وليس هذا بمحل لاستيفاء تفسيرها

وأما الثاني فلأن هذه الآية كالسورة التي أنزلت فيها مكية ولم يكن في ذلك الوقت أحد من اليهود قد أسلم فيصح الجمع الذي قيل والامر حقيقة الحال

﴿ الانتقاد الثالث جعله كعبا من رجال البخاري ﴾

نقلنا عن تهذيب التهذيب قول الحافظ ابن حجر إن صاحب التهذيب أخطأ في وضعه علامة البخاري وهي حرف (خ) عند ذكره لأنها تدل على رواية البخاري عنه في صحيحه وهو لم يرو عنه شيئا وانما ذكر ما قاله فيه معاوية ـ فزعم المنتقد أن هذه التخطئة من الحافظ في غير محلها واستدل على ذلك بما استنبطه هو من كون عبارة معاوية توثيقا لكعب وكون البخاري أراد بذكرها بيان هذه الثقة به كما تقدم آنفا . وعد هذا الفهم منه احتجاجا من البخاري بكعب وقال : وباعتبار أن البخاري اعتمد في كتابه على الرواة والمحتج بهم يصح أن يطلق على كل منهما أنه من رجال البخاري وأنه أخذ عنه (كذا كذا) بلا فرق بينهما (كذا كذا بحروفه)

وبنى على هذا تصويب صاحب تهذيب الكمال في وضع علامة البخاري بجانب اسم كعب وتخطئة الحافظ ابن حجر في انتقاده له وقال « وجل المنزه عن الخطأ »

ثم استدل على عدم جزم الحافظ ابن حجر بغلط صاحب تهذيب الكمال بابقائه حرف الخاء بجانب اسم كعب في تهذيب التهذيب قال فلو كان جازما بغلط صاحب

التهذيب في ذكر هذا الحرف لحذفه هو من كتابه (كذا !!)

أقول لاشك أن أهل العلم بالحديث وباللغة قد تعجبوا من نشري لانتقاد هذا الاستاذ - وأن سائر قراء المنار سيتعجبون عند قراءة هذا الرد من صبري في كتابته وسماحي بصفحات المنار وبما هو أثمن منها وهو الوقت النفيس الذي صرف فيه . وأعتذر لهم بأن سبب هذا حسن ظني باخلاص المنتقد وإعلامه بقيمة مبلغ فهمه ليكون عونا له على الفهم والاستدلال كما أراد هو إفادتي وإفادة قراء المنار بنقده

اذاً لابد لي من التصريح له بأن جميع المحدثين الذين وضعوا في كتبهم رموزاً من الحروف لمخرجي السنن والآثار قد وضعوا حرف (خ) لرجال البخاري الذين روى عنهم في الجامع الصحيح خاصة بل لما روي عنهم الأخبار والآثار المسندة بشروطها عنده دون التعاليق فقد وضع لها صاحب تهذيب التهذيب فيه (خت) وقد وضعوا لسائر كتبه كالأدب المفرد وكتاب رفع اليدين وكتاب أخلاق العباد رموزاً أخرى عنهم وفقها فلا يصح عندهم بحال من الأحوال أن يسمى كل من عدله ووثقه من رجال الجامع الصحيح وأن يوضع حرف (خ) رمزاً له

فان فرضنا أن ما استنبطه المنتقد من تعديله لكعب صحيح في نفسه لم يكن مجوزاً أن يعد من رواته في الجامع الصحيح الذين وضعوا لهم حرف الخاء . والبخاري قد عدل في تاريخه كثيراً من الرجال وروى عن بعضهم في تعاليق جامعه بصيغة الجزم وعن بعضهم في غير جامعه ولم يعدهم أحد من رجاله أي رجال الجامع الصحيح

وأما استدلاله بإبقاء الحافظ ابن حجر لحرف (خ) في مختصره على ماذكر مع تصريحه بتخطئة صاحب التهذيب فيه فهو من السقطات التي نذكرها آسفين لصدورها عنه ، كما نأسف لقوله أنه لم يوافق الحافظ أحد من المتقدمين والمتأخرين على التعجب من عد كعب من رجال البخاري ، مع عدم تمارائه هو في عدم روايته عنه شيئا مسنداً في صحيحه !!! وكيف يوافقه من قبله ؟ ومن ذا الذي خطأه ممن بعده ؟ فان فرضنا ان أحداً مثل المنتقد خطأه فماذا يضره والدليل معه

(للكلام بقية)

أنباء العالم الإسلامي

الزعيمان شوكت علي ومحمد علي

هذان الزعيمان المشهوران في الهند ممن ولدت الحرب العظمى من الزعماء في البلاد المختلفة ، وعند مازورنا الهند سنة ١٣٣٠ (الموافقة لسنة ١٩١٢ م) لم يكن لهما ذكر فيها ، وسبب زعامتهما اضطهاد الحكومة الانكليزية لهما لشدة انتقادهما إياها على قتال الدولة العثمانية الممثلة للخلافة الاسلامية .

ملأ ذكر شوكت علي ومحمد علي الآفاق بعد الحرب العظمى وقد كان من فوائد رحلتنا إلى الحجاز في موسم الحج الأخير لقاء الزعيمين الكبيرين في مكة المكرمة ومعرفة كنه حالهما [illegible] إلى الانتظام في سلك المؤتمر الاسلامي العام الذي دعا اليه [illegible] الاشتغال في خدمة الاسلام والحرمين الشريفين مع الوفود الاسلامية عامة والوفود الهندية خاصة ، ووفد الخلافة الذي يعد الزعيمان أشهر أركانه على الوجه الاخص . وقد كاشفت رئيس هذا الوفد صديقي الاستاذ السيد سليمان الندوي بذلك وبأنه يحسن أن نتذاكر في المسائل المختلف فيها أو التي هي مظنة الاختلاف عند ما تعرض على المؤتمر وتمحصها ليسهل علينا التعاون على إقناع غيرنا بتقريرها فيه وأن نراعي في هذه المباحث ما يمكن وما لا يمكن وما يسمى في عرف هذا العصر « بالامر الواقع » وما يترتب عليه ، وقد استحسن الاستاذ الندوي هذا الرأي وقال أنه سيعرضه على رفاقه ، ثم رأيت رفيقيه غير مباليين بمذاكرة أحد ولا بالتعاون مع أحد كأنهما يظنان أنهما بنفوذهما الشخصي يفعلان في المؤتمر ما يفعلان في جمعية الخلافة ـ حتى بدا لهما أفن هـذا الرأي وبطلان هذا الظن في أثناء المؤتمر ، وسنفصل ذلك في رحلتنا الحجازية بما فيه العبرة والعظة للعالم الاسلامي ، ونكتفي هنا بتعليق وجيز على أول خطبـة لأخينا محمـد علي ألقاها في ميناء كراجي أول افر الما

به من مواني الهند، وقد بلغنا أن ماباه بعد ذلك في خطبها ومكتوباتها شرمنه وأنها أحدثا شقاقا في الهند بأقوالها الجديدة في ابن السعود المخالفة لأقوالها السابقة

خطبة مولانا محمد علي في كراجي

خطب مولانا محمد علي في أهالي كراجي خطبة حماسية طويلة بكى فيها واستبكى - وما أسهل هذا عليه ! فرأيت من واجب التناصح أن أعلق على بعض عباراته فيها تعليقات مؤيدة بالبرهانين الديني والعقلي فأقول

تزكية نفسه وشهادته لها بالمغفرة

(١) بدأ خطبته بالتودد إلى أهل تلك الناحية بذكر حبه الشديد لهم وحبهم له وتذكيرهم بجلب القضاء البريطاني له إلى بلدهم لمحاكمته محاكمة المجرمين. وهذا أعظم ما يتقرب به اليهم لعدم محاكمة الدولة له أكبر مناقبه ، وقال في أثناء ذلك « وقد تم من إرادة الله وكرمه أن أعود إليكم بعد أن طهرني الله من جميع الذنوب والاوزار » وقد كرر هذا المعنى مرتين أو ثلاثا

فنذكر أخانا في الاسلام الذي [illegible] كنا في غسل بيت الله الحرام ، وتطييب جدرانه من الداخل بعطر الورد ، بأن لا يعود إلى مثل هذا فان الجزم القطعي بغفران الله تعالى وتطهيره لشخص معين من الذنوب والاوزار لا يعلم إلا بوحي من الله علام الغيوب ، والاعمال المكفرة للذنوب كالحج لا تكون كذلك إلا اذا كانت صحيحة باستيفاء شروطها وواجباتها الظاهرة والباطنة كالاخلاص وكانت مقبولة عند الله تعالى ، والعلم باستيفاء الشروط والواجبات عسر ، وأما العلم بالمقبول عند الله تعالى فمتعذر ، وقد قال بعضهم في واجب واحد من شروط الحج الظاهرة

إذا حججت بمال أصله دنس   فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة   ما كل من حج بيت الله مبرور

ولا محل هنا لذكر ما استدل به العلماء على عدم القطع لأحد بالمغفرة والجنة إلا من بشرهم بذلك النبي (ص) . وقد فسروا الحج المبرور المكفر للذنوب الذي

ورد الحديث فيه بانه الذي لايقع فيه معصية أو لا رياء فيه : أخذوا هذا من حديث الصحيحين واللفظ للبخاري « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ومن دعائه (ص) بأن يجعل حجه لارياء فيه ولا سمعة : وقالوا مع هذا إن الحج المبرور انما يكفر حقوق الله تعالى لاحقوق العباد .

وقد قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ويدخل في هذا النهي مدح المرء لنفسه وتزكيتها ولو بالحق ولاسيا اذا كان في سياق الفخر والتبجح، ويمكن لأخينا أن يراجع في هذه المسألة وما حولها كتب التفسير وكتب السنة ولا سيا رد النبي (ص) على سعد بن أبي وقاص فيمن قال فيه إني لأراه مؤمنا — فقال له (ص) « بل مسلما » وهو في الصحيحين — وبراجع أيضا كتاب الحج وكتابي العجب والغرور من إحياء علوم الدين ، ويتذكر كيف كان يستغيب ملك الحجاز حتى في بيت الله تعالى وفيالا مصلحة فيه له وللمسلمين كالكلام في لحيته وزوجه الخ

دعواه إخلاف ابن سعود وكذبه

(٢) قال: ان ابن السعود كان كتب اليه ان الحجاز أمانة في يده للمسلمين وأنه يخضع لما يراه المؤتمر الاسلامي ومستعد لتخلية الحجاز لمن يختاره هذا المؤتمر .

(وقال) فلما قصدت الحجاز وجدت أن الافعال غير الاقوال — ثم أطال الكلام في الوعود والعهود والمواثيق والكذب والخداع . وذكر من الافعال المخالفة هدم القباب العالية والمنارات الشامخة والمقابر والمآثر — وبالغ في تعظيم أمر هذا الهدم لهذه المبتدعات كأنما هدم بها أركان الاسلام ، وبكى في أثناء هذا التهويل ، وبالغ في الندب والعويل ، حتى استبكى الجم الغفير من عباد القبور ومحبولي القباب الشامخة الباذخة الفخمة الفخمة التي لعن رسول الله (ص) الذين يبنونها مساجد على المقابر في مرض موته ليحذر أمته من فتنتها ومن بناء مثلها

ونذكر هذا الزعيم بأنه ليس من الذنوب المغفورة له عند الله أن يدافع عن هذه القباب والمساجد المبنية على القبور التي هي شر من مسجد الضرار الذي قال الله تعالى فيه (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين) الآية . ثم نذكره بقوله وقول أخيه انهما لايقولان بأن هذه القبور والقباب والمساجد عليها مطلوبة

شرعا ولا إنها كما يزعم العوام الجاهلون تنفع وتضر — وانما يدافعان عنها مراعاة للشيعة والعوام في الهند لأجل الانتفاع بعصبيتهم أو ما هذا معناه

ولكن ابن السعود لايحابي الشيعة ولا العوام في الدين . وقد قال لهما ولغيرهما من أعضاء المؤتمر وغيرهم ولا سيما ليلة دعوته الكبرى لرجال المؤتمر قال: ان مسألة المقابر والمآثر قد عمل فيها بفتوى العلماء فاذا اجتمعت جمعية من علماء السنة وفقهاء المذاهب الاربعة وأعادوا المذاكرة وأثبتوا بالدليل خطأه في شيء فعله ووجوب تلافي هذا الخطأ – فانه يأخذ بقولهم . هذا ما صرح به مراراً

وأما الاخذ بقول الزعيمين السياسيين شوكت علي ومحمد علي وليسا من علماء الدين أو بأهواء الشيعة والعامة لأجل السياسة فلا سبيل اليه

وأما قول الزعيم الهندي بأن الملك السلطان العربي وعده ووعد جمعية الخلافة بأن يخضع لقرار المؤتمر الاسلامي في حكم الحجاز ويخليه لمن يختاره هذا المؤتمر – وان أفعاله خالفت أقواله – فمسألة هل يعد رأيه ورأي أخيه الشاذ في جعل حكومة الحجاز جمهورية وجعل حق انتخاب رئيسها للمؤتمر – قراراً من المؤتمر بذلك ؟ ؟ ان المؤتمر لم يقرر شيئاً في هذه المسألة ولا جعلها من موضوع مذاكراته والسواد الاعظم من مندوبي المؤتمر ومنهم مندوبو الحكومات المستقلة معترفون بأن جلالة عبد العزيز بن السعود ملك الحجاز ، فما معنى هذه المخالفة بين الاقوال والافعال في هذه المسألة ؟ أيليق بزعيم كبير أن يقول هذا في خطاب عام ؟

افتخار محمد علي بالشجاعة في سبيل الله

(٣) افتخر الزعيم امام أهل كراجي وتبجح بالشجاعة والاقدام وعدم المبالاة بالموت في سبيل الله اذ صارح ابن السعود بالانتقاد على أعماله وباختصاصه بالسلطة الشخصية في الحجاز « ورفع صوته عالياً غير هياب في الحق ولا وجل » وذكرهم بانه « لم يرهب الحكومة البريطانية التي هي أقوى دول الارض في هذا العهد » واطال في ذلك وكرره حتى خيل لسامع كلامه انه كان موطنا نفسه على سفك هذا الملك الجبار لدمه « امام كعبة الله » كما قال !!!

ونحن لانرى لهذا الفخر أدنى مجال ولا مسوغ فابن سعود ليس جبارا ولا

بطاشا بمن ينتقده ، ولا بمن يذمه ، ولم ينقل عنه انه عاقب رجلا أساء اليه ، بل نقل عنه أنه عفا عن رجل كان يريد قتله بعد أن قبض عليه رجاله واعترف بأنه كان يريد قتله ، وقد وقفت ادارة الامن العام في الحجاز على جمعية سرية في مكة تأتيها الاموال والاسلحة والديناميت من الخارج ... ولم يأمر الملك بقتل أحد من أعضائها ولما أعلنت حكومة الحجاز المنع من بيع هذا السلاح في الحجاز انتدب الزعيمان محمد علي وشوكت علي للانكار عليها كأنهما راضيان بعمل هذه الجمعية واستعدادها لسفك الدماء في حرم الله الذي يحرم فيه قتل القاتل قصاصا شرعياً (!!)

ثم اننا لانرى معنى لاستدلاله على عدم الخوف من ابن سعود بقوله انه كذلك لم يخف من الدولة البريطانية وهي أقوى دول الارض فان عقاب الحكومات للافراد لاتفاوت فيها بين حكومة قوية وضعيفة ، ولكنه [illegible] أن الحكومة البريطانية تحميه من ملك الحجاز إذا أراد الانتقام منه وهذا التبجح لايليق به على أنه في غير محله أيضا لان ملك الحجاز إذا أراد [illegible] ولن يريد فلا يكون عقابه له بالقتل ولا بالحبس ولا [illegible] يحتاج إلى هذه الشجاعة كلها ، أو الى حماية الانكليز أقوى دول الارض له ، وإنما يكون بمثل ما عاقب به المشاغبين من أعضاء جمعية خدام الكعبة ،وهو إخراجهم من الحجاز ، أو بالحرمان من حضور جلسات المؤتمر ، وكلاهما أمر يسير غير عسير ، ولكن الملك عبد العزيز الحليم العادل المتواضع قد قابل ما كان يستفرغه الزعيم الشجاع بسعة الصدر التامة، وما كان يزيده ذلك إلا إكراماً لضيفه العزيز في قومه

طعن الزعيم على رجال المؤتمر

(٤) طعن الزعيم الكبير في رجال من أعضاء المؤتمر بأنهم أصحاب أغراض شخصية ومآرب ذاتية وأنه لاضمير لهم ولا مبدأ – ولماذا ؟ قال إن أحدهم قال له : يجب أن لانقول شيئا ضد ابن السعود :

سبحان الله ! لماذا يجوز له أن يطعن هو في ابن السعود أشد الطعن لانه يخالفه في سياسته التي يستميل بها الشيعة وعوام الهنود الخرافيين في بلاده – ويخالفهم وأهل الحجاز فيما لايعنيه من شكل حكومته ، ولايجوز لغيره أن يعد ابن السعود مصلحا بإزالته

للبدع وذرائع الشرك والمعاصي - ويدافع عنه لاجل هذا أو لان الطعن فيه غير مفيد في نفسه ولا لائق بآداب رجال المؤتمر ومقاماتهم في أقوامهم ، ولالائق بآداب الشرع ،ولا لائق بالحرم الشريف ولاسيما للحجاج لان أقل مافيها إثارة الجدال والمراء المذمومين شرعا ولا سيما في الحرم او لغير ذلك من الاسباب . وإنما حملنا نهي من نهى الزعيم الكبير عن الكلام فيا سماه « ضد ابن سعود » على الطعن فيه وان كان في سياق شكل حكومته أو أعماله في إزالة البدع لان هذا هو الذي كان معروفا واشتهر عنه لاسرافه فيه واكثاره منه

دعواه أنه منع من حريته في المؤتمر

(٥) قال « لقد منعت من إعلان اقتراحي في المؤتمر وظلمت من جانب ابن سعود ، ولكني رفعت صوتي عالياً غير هياب في الحق ولا وجل » الخ ما انتفج به وتبجح ، فكيف منع من اعلان اقتراحه وكيف رفع صوته بلا مبالاة ؟ وبم ظلمه ابن السعود في هذا المقام وهو قد بسط على المؤتمر حرية تامة ما كان أحد ينتظرها؟

أطال في الافتخار بعدم خوفه من ابن السعود وبما أنكر عليه في وجهه الانفراد بحكم بلاد الحجاز واقتراحه بأن [illegible] أشد خطراً على الاسلام والمسلمين من تفرده بالحكم في حرم الله . قال إنه أنكر عليه ماذكر بما ذكر من الغلظة أربع مرات ولم يكن يجيبه إلا بقوله « انا متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله (ص) »

ثم إشار الى ان طبيعة الملك تغري صاحبها بسفك الدماء، وقال « وهكذا اخذ علي طريق الرأي والاقتراح ، وأغلق في وجهي طريق العمل والاصلاح »

نقول: إذا كان الملك ابن السعود لم يزد في جوابه على إغلاظ هذا الرجل في القدح فيه على كونه متبعاً للكتاب والسنة في عمله ، أي لا لآراء محمد علي وآراء أمثاله السياسيين الذين يستبيحون أو يوجبون في سبيل سياستهم كل شيء - واذا كان هذا الملك حليما رفيقا يقبل من الانكار عليه في وجهه كل تلك الغلظة اتباعا للخلفاء الراشدين وأئمة السلف فما معنى الافتخار بالشجاعة أمامه ولادعاء توطين النفس على القتل بسيفه ؟

ثم ما معنى كونه هو الذي ظلمه بمنعه من ابداء رأيه كله في المؤتمر ، إن الملك لم يكن عضواً في المؤتمر فيعارض فيه أحداً أو يمنعه من إبداء رأيه ، فان كان أنصاره

والراضون عنه في المؤتمر هم الذين منعوا محمد علي مما ذكر فأي ذنب لابن السعود إذا كانت الاكثرية الساحقة في المؤتمر تؤيده وتخالف خصمه ؟

إن هذا الكلام شهادة من أخينا محمد علي بأنه هو الذي كان مخالفا للمؤتمر لا ابن السعود . وكل أعضاء المؤتمر كانوا يتبرمون من أكثر خطبه وخطب أخيه الطويلة الخارجة عن موضوع المؤتمر والتي يكثر فيها الفخر بالاخلاص ورمي المخالفين بعدم الاخلاص. وإنما كانوا يجاملونهما حذراً من وقوع الشقاق والفشل في المؤتمر . وسنبين هذا بالتفصيل في رحلتنا إن شاء الله تعالى

إنا وايم الحق كنا نتمنى لو يكون هذا الزعيم بل هذان الزعيمان الكبيران أحكم وأقوم سبيلا مما وجدناهما عليه ومما نقل الينا عنهما بعد عودتهما إلى الهند. ونحن لم نقل إلا بعض ما نراه في شأنهما هو الحق ، مع مراعاة الرأفة في الحكم ، ومن أثبت لنا خطأنا في شيء مما قلناه رجعنا عنه معتذرين ، واستغفرنا الله تعالى تائبين

علاقتنا بابن السعود دينية اصلاحية :

نعم قد يقول قائل إنك نصير لابن السعود وما عهدناك الا مؤيداً له ومدافعا عنه ، ولم نرك تنتقده في شيء ،

وأقول في جوابه : لا أنكر أنني أيدت الرجل ودافعت عنه ولا أزال كذلك ولكن فيما أعتقد أنه الحق ، والمصلحة لملتنا وأمتنا ، وأنا في ذلك على خطتي التي أعلنها في المنار كل عام مرة أو مرارا ، وهي أن كل من بين لنا خطأنا في شيء كتبناه أنا أو أخواني فان من إنصافنا أن ننشره له مع بيان رأينا فيه ونترك للقراء الحكم في الخلاف اذا نحن اختلفنا .

وأما مسئلة الانتقاد عليه والنصح له فان ما أمر الله تعالى به من الدعوة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة يقتضي أن يكون الانتقاد والنصح بيننا وبينه مادام ذلك ممكنا ، وإنما يلجأ المرء إلى النشر في حالة امتناع الموعظة في السر ، أو في حالة التمرد وعدم قبول النصح ، ونحن نصرح باننا نصحنا للرجل بالكتابة مراراً ببيان ما يجب عليه لملته الاسلامية ولأمته العربية ، وانتقدنا عليه بعض الامور التي رويناها أو رأيناها منقومه، كتابة في حالة البعد، ومشافهة في حالة القرب، فلم يقابل نصحنا وانتقادنا الا بالقبول والشكر ، مع بيان ما عنده من الاعتقاد والرأي .

وإننا نرجو أن يكون ما كتبناه وما سنكتبه لوجه الله تعالى لأن مودتنا هي في سبيل الله تعالى لا لأجل غرض دنيوي ، وهو أعلم الناس بهذا وقد اعترف لنا به كتابة ، ولا سيما بعد عودتنا من الحجاز ، وإذا اقتضت المصلحة العامة نشر شيء مما كتبه الينا في ذلك فاننا ننشره

إنه قد ثبت عندنا بالاختبار الطويل أن أهل نجد أشد مسلمي هذا العصر اعتصاما بما يعلمون من كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأبعدهم عن الخرافات والبدع التي أفسدت على أكثر المسلمين دينهم ودنياهم ، وأن آل سعود هم الذين أيدوا هذا الاصلاح من نشأته الى الآن ولولاهم لما انتشر وثبت . وأن ما ينتقد على أهل نجد من التشدد في الدين خير مما ينتقد على من غيرهم من نبذه وراء الظهور . وفي نجد عوام وجاهلون كما يوجد في سائر الدنيا ولكنهم أقرب إلى قبول الحق إذا ثبت عندهم بدليل شرعي ، ولا نعرف شعباً غيرهم يبذل نفسه وماله في سبيل الله بالوازع النفسي جهاداً دون نظام يلزمهم ونسعى لترقيتهم وا كمال ما ينقصهم لخدمة الاسلام والعرب في هذا العصر

ومن الشواهد على ما تقدم أننا لما رأينا في الجرائد المصرية أن الامير سعودا قد زار المشهد الحسيني كتبنا اليه كتابا شددنا فيه الانكار عليه ، وأنكرنا فيه عليه أيضا ما قيل من أنه حضر حفلة الموسيقى في حديقة الأزبكية وصفق لها — فلما قرأه امتعض وتألم ألما شديدا ، وأرسل الينا معتمد حكومتهم الشيخ فوزان فكذب لنا الخبرين ، ولو لم يفعل ذلك لانكرنا عليه في الجرائد ، ولامتنعت عن زيارته هجراً له في الله عز وجل ، ولما زرته بعد ذلك كرر لي تكذيب الخبرين ونشرت ذلك في المنار . وهذا برهان على كوننا نؤيدهم فيما يؤيدون به السنة وننكر عليهم اذا خالفوها

هذا وإن إنكاري عليه ما قيل من حضوره حفلة الموسيقى مبني على ما أعلم من اعتقاده واعتقاد قومه تحريم جميع المعازف الا ما استثني من دف العرس وطبل الحرب مثلا . وهذا ما عليه جمهور فقهاء المذاهب المشهورة من أهل السنة وغيرهم ، خلافا لبعض علماء السلف ولا سيما الحجازيين في ذلك ، وأنا أعتقد حل الموسيقي العسكرية لأنه لا يصح دليل على تحريمها ، ولأنها من قبيل ما استثناه بعض فقهائنا من طبل الحرب والله أعلم :

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

نموذج من كتاب القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق

تابع لما سبق في الجزء الماضي

أما السادة الصوفية فهم صفوة أهل الله وخلاصة هذه الامة كما قال أبو القاسم القشيري الصوفية خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة وقال شهاب الدين السهروردي : الصوفي يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ماينبغي أن يستر ، ويظهر ماينبغي أن يظهر ، ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص

الا أن هذه المنكرات كانت خفية جدا لا تكاد تظهر إلا من أفراد من الناس متعزلين عن عامة المسلمين بسبب سطوة العلماء وأولي الأمر وشدة تمسكهم بالدين ، واعتصامهم بحبله المتين ، ووجود الغيرة في قلوب العامة ، الى أن تقادم عهد هؤلاء الاكابر وأهمل في الامر أولياؤه وفقدت الغيرة الدينية من قلوب المسلمين وأسندت الامور الى غير أهلها فكثرت هذه البدع والمنكرات واتسع نطاقها واشتهر أمرها بين الخاصة والعامة وأصبحت من الامور التي تلتزم التزام الفرائض والسنن ، وصار الانكار عليها ممن أحيا الله في قلبه غيرة الدين وفضيلة الاسلام من الشذوذ بمكان يستحق عليه اللوم والتعنيف فلا حول ولا قوة الا بالله

ولنبين لك أيها السائل أرشدك الله الى الحق حكم فعل ما سألت عنه بإيجاز فنقول

(١) (الاذكار الملحونة)

أجمع المسلمون على حرمة الالحاد في أسمائه تعالى والتحريف في آياته وعلى حرمة ذكره على وجه ينافي الاعظام والاجلال قال تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى)

ولاريب أن اللحن في الكلمة المشرفة إلحاد وتحريف في الاسم الشريف، وذكر له تعالى على وجه لاتسبيح فيه ولا تقديس، ولم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين ومن يعول عليه من أئمة الدين وأهل الطريق أنه ذكر الله تعالى أو قال بجواز الذكر على غير الوجه المشروع الوارد كتابا أو سنة المتلقى من أفواه الرواة والشيوخ بالكيفية المعروفة بين أهل الاداء المضبوطة في الكتب. وقد نصوا على أن أسماء الله تعالى توقيفية لاتثبت وضعا وكيفية الا بكتاب أو سنة صحيحة، وان الكلمة المشرفة من القرآن والزيادة فيه كالنقص حرام. وممن نص على حرمة ذلك العلامة (الامير في رسالته) نتائج الفكر في آداب الذكر عند ضبطه للكلمة المشرفة والولي الشهير سيدي عبد الرحمن الاخضري بقوله في منظومته

ومن شروط الذكر أن لا يسقطا   بعض حروف الاسم أو يفرّطا
في البعض من مناسك الشريعة   عمداً فذلك بدعة شنيعة
فواجب تنزيه ذكر الله   على الفتى الذاكر الأوّاه
عن كل ما ابتدعه أهل البدع   ويقتدي بفعل أرباب الورع
لقد رأينا فرقة إن ذكروا   تبدعوا وربما قد كفروا
وصنعوا في الذكر صنعاً منكرا   صعبا فجاهدهم جهادا أكبرا
خلوا من اسم الله حرف الهاء   فألحدوا في أعظم الأسماء
لقد أتوا والله شيئا إدّا   تخر منه الشامخات هدّا

(وفي الجوهر الخاص في أجوبة مسائل كلمة الاخلاص) للعارف بالله تعالى سيدي محمد العمري مايوافقه ومثله في شرح الخريدة لابي البركات سيدي أحمد الدردير وفي تحفة السالكين لسيدي محمد المنير خليفة الشمس الحفني وفي النفحات القدسية لابي المواهب الشعراني. وفي شرح العلم الشهير سيدي محمد السنوسي على صغراه.

وجملة القول أن هذا الحكم مما تضافرت عليه أكابر الصوفية وأهل السنة والجماعة ولم يستثنوا منه الامفقود الاحساس غائب الحواس الذي يغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب ولا يبقى يعرف مايقول ولا مايقال له فسلم قياده الى وارده يتصرف فيه كيف شاء، لانه ليس محلا للتكليف وأمره بيد الله تعالى يفعل فيه ما يشاء،

أما هؤلاء الجهلة الذين يتغيبون من غير غيبة ويتواجدون من غير وجدان فما أسوأ حالهم وأخسر أعمالهم (راجع شمس التحقيق لأبي المعارف سيدي أحمد شرقاوي رضي الله عنه)

(٢) (قصر لفظ الجلالة)

وكما لايجوز اللحن في أسمائه تعالى لايجوز قصر لفظ الجلالة وهو نقصه عن المد الطبيعي الذي لاوجود للحرف إلا به لأنه من جملة اللحن وقد نص الفقهاء على أن الاتيان به مقصوراً لايعد ذكراً ولا تنعقد به يمين وتفسد به الصلاة في تكبيرة الاحرام وذكره الفخر الرازي وأبوالسعود في تفسيرهما والمحقق الأمير في نتائج الفكر ، وأما قصره في قول الشاعر

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله بارك في الرجال

فضرورة كما صرح به ابن منظور في لسان العرب وأئمة التفسير وسيدي مصطفى البكري وسيدي محمد العمري والقباني في وسيطه والزرقاني والخرشي في كبيره والعدوي والأمير في مجموعه

على أن صاحب المصباح نقل عن أبي حاتم أن حذف الف الله خطأ لا أصل له في اللغة ولا يعرفه أئمة اللسان والبيت موضوع . ولئن سلمنا جوازه لغة فلا يلزم منه جوازه شرعا ، ولذلك نظائر كثيرة ليس هذا موضع ايرادها وأسماء الله تعالى توقيفية ولم يرد في الكتاب أو السنة قصر هذا الاسم الشريف

وما يتعلل به بعض القاصرين لتجويز الذكر بالاسم الشريف مقصورا وبغيره على أي كيفية وقع من قوله عليه الصلاة والسلام « إنما الاعمال بالنيات » وبما ينقله مشايخهم من أن هذا الذكر بهذه الهيئة كان في عصر فلان وفلان من آبائهم وأسلافهم الغابرين فمردود بهذه النصوص الواضحة وبأن النية لاتقترن بالعمل على الوجه المشار اليه في الحديث الا إذا أتمت صورة العمل وهيئته المبنية في الشرع وان تشبثهم بما أقره أسلافهم وتركهم أوامر الدين في ذلك كتشبث

اليهود والنصارى بقولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) [(١)]

وما أحسن قوله الاستاذ أبي المعارف في نصيحة الذاكرين: وماذا علينا اذا واتقنا الله والرسول، وتركنا ماعليه الاسلاف والأصول، فان الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا، وليسوا هم حجة على الشرع، فانه يحتج به لا عليه فالاحتجاج بالاسلاف، لا فائدة فيه ولا اسعاف، وإنما هو ذكر لمساويهم، واظهار لمعاصيهم، وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» اه

وجملة القول أن هذا منكر من القول وزور يجب على الامة الاسلامية وخاصة علماءها وقادتها ازالته بما لهم من الحول والسلطان والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. (للكلام بقية)

﴿ تقريظ المطبوعات الحديثة ﴾

المواكب

(نظرات شاعر ومصور في الانسان والحياة)

جبران خليل جبران أديب سوري عربي هاجر إلى أمريكا لاجل التجارة كغيره وأقام فيها، لكن روح جبران شعرية فلسفية، تغوص في لجج من الفلسفة النظرية، وتطير في جو واسع من الخيال الشعري، وقد ينظم أحيانا ما يجتنيه بغوصه من درر الفلسفة في أسلاك من الشعر، تحكي خيوط أشعة القمر أو أسلاك أشعة الشمس، يراها[(٢)] الرائي في الصحائف بعينيه، ويسمعها المصغي بأذنيه، ويقرؤها القارىء بلسانه، ويشعر بها الشاعر بوجدانه، ولا يملك أحد أن يقبض على شيء منها، كشأن اليدمع الاشعة، اذا غابت عن الحس، غابت عن النفس، إلا صورة مبهمة في الخيال، وذكرى تخطر بالبال، ذلك شعر الفلسفة النظرية وفلسفة الخيال الشعري، وذلك جبران خليل في مواكبه الجديدة، وله شعر آخر يدخل في أبواب الاعمال ونظم الاجتماع، ليس أمامنا منه الآن شيء.

(١) المنار: الآية نزلت في مشركي العرب، وهي تصدق في أهل الكتاب المقلدين لآبائهم فيما خالفه كهؤلاء المسلمين وخص أهل الكتاب بالذكر لان هؤلاء أشبه بهم منهم بمشركي العرب وأمثالهم من حيث ان كتاب الله حجة عليهم (٢) اي هذه الفلسفة

تصفحنا صفحاتها الثلاثين ، التي أُهديت إلينا مطبوعة منذ ثلاث سنين ، فإذا هي مقاطيع من الشعر أشبه بالمواصيل ، تصور للناظر فلسفة حياة البشر الفطرية والمدنية ، في بضعة عشر شأنًا من شؤونهم الأدبية والاجتماعية ، وهي : الخير والشر الحياة وما فيها من رغد ، وبؤس وكدر ، السكر والنشوة ، الدين ، العدل والعقاب ، العزم ، العلم ، الحرية ، اللطف ، الظرف ، الحب ، جنون الحب ، القوة والفتح والظلم ، السعادة ، الروح مع الجسد ، الجسم للروح والعقم ، الموت والخلود

تلك موضوعات المواكب ، وكل منها مركب من مقاطيع كمجاميع الكواكب : مقطوعة من بحر البسيط وقافية الراء المضمومة في وصف حال أهل الحضارة في موضوعها يليها أربع أبيات لا يلتزم فيها قافية في وصف عيشة الغاب أي سذاجة الفطرة وعيشة البادية ، يليها بيتان في غناء الناي

وهاك المثال وهو الموكب الأول :

الخيرُ في الناس مصنوعٌ لما جُبروا والشرُّ في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثرُ الناس آلاتٌ تحركها أصابعُ الدهر يوما ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقُر
فأفضل الناس قطعانٌ يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثر

٭٭٭

ليس في الغابات راعٍ لا ولا فيها القطيعْ
فالشتا يمشي ولكن لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً للذي يأبى الخضوع
فإذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع

٭٭٭

أعطني الناي وغني فالغنا يرعى العقول
وأنين الناي أبقى من مجيد وذليل

قوله السيد الوقر بضم القاف أصله الوقور خفف لضرورة الشعر وهذا جائز وقد يجيزهذا الشاعر وأمثاله من العصريين في مثل هذا مالم يجزه علماء العربية من قبل وينظر مامعنى قوله : فالغنا يرعى العقول ـ فهو من مبهماته التي يقف فيها الذهن متكرا